

ذكريات مدرس

عبد الرحمن بكر صبّاغ

المكتبة الصغيرة

المكتبة الصّغيرة

٣٠



عبد الرحمن بكر صبّاغ

مدرس ومفتش سابق بوزارة المعارف السعودية

الطبعة الأولى

صفر ١٤٠٠ هـ ـ يناير ١٩٨٠ م

الغلاف من تصميم الفنان :

هشـــام أبو عــودة

هذا العدد ختام المجلد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

(فضل العالم على الجاهل كفضلي على أدناكم)

حديث شريف



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد : قد طلب مني بعض من تربطني به روابط الدراسة والتدريس وقد سبقت لهم مطالعة كتابي (تربية النشء) أن أضع كتيباً صغيراً يحتوي على ذكرياتي عن الأيام بل الأعوام التي قضيتها ، وتشرفت فيها بالانضمام الى هيئات خدمة العلم والثقافة في مراحلها الأولى بالمدارس ، نظراً لأني واكبت هذه المراحل منذ نعومة أظافري ، تلميذاً في العهد العثماني التركي، ومراهقاً في العهد الهاشمي، ويافعاً في وظائف هذه الخدمة على العهد السعودي .

ولقد شاهدت الكثير ، وتسمعت الى أحاديث الرواة ، وقرأت القليل في صحائف المسجلين(١) ، وحضرت أحداثها المتصلة والمنفصلة ورافقت من أفراد تلك الهيئات الكثير دارساً ومدرساً وغير ذلك . وبعد تردد مني في الاستجابة للطلب وابراز الفكرة الى حيز الوجود عقدت العزم على المضي فيه مستعيناً بالله راجياً منه التوفيق والهداية ؟

عبد الرحمن بكر الصباغ

---

(١) لقد كان تسجيل الحركة التعليمية باقاليم شبه الجزيرة العربية لا يعدو بضع جمل في المؤلفات عن هذه الأقاليم وذلك لأنها حركة خاصة تجري على يد أفراد قلائل وعند اهتمام الدولة العثمانية أو الهاشمية بهذه الحركة لم تبعد كثيراً عن اطارها السابق ، وعندما اتسعت دائرة هذه الحركة في عهدها الأخير ورغب المؤلفون في التسجيل لم يجدوا من المراجع ما يركنون اليه لبدء تسجيل حركتها القديمة ، وكتابي (تربية النشء) هو الأول من نوعه في التسجيل .

ماضي التعليم وحاضره..

وقبل البدء في المسير وبعون الله أردت أن أتحدث ببعض الكلمات المجملة القصيرة عن ماضى التعليم وحاضره ، مبينـاً الفـرق بين ذاك المـاضى وهذا الحاضر ، والجهد الذى استوعبه المـاضى حتى وجد الحاضر طريقه المعبد ، وقصرت مسافة مسيرته الى آفاق التطور والاستيعاب .

الماضى ومكابداته :

ومكابدات الماضى التى تمخض عنها تسير مسيرة الحاضر ملخصة فيما يأتى :

أولا : المـاضى هو الأساس الذى أغنى الحـاضر بعطائه فى مختلف المجالات ولا شك ان العمل الأول (الأساس) فى كل مشروع عادة يلاقى من الصعاب والعقبات ما يحتاج لتحقيقه وابرازه وتنفيذه من المتصـدى جهـوداً مكثفة ، وأوقاتاً طويلة مملة ، ومكابدات جمة .

ثانياً : لذلك كان الدارسون والمدرسون فى الماضى ينحتون الصخر ليصلوا بالمسيرة الى المستوى البسيط ، لأن هذه المسيرة جرت فى الوقت الذى كان الجري وراء لقمة العيش وتحقيق مطالب الحياة الضرورية ، يطغيان على كثير من رغائب المجتمع العامة والكمالية الخاصة .

ثالثاً : كان الحصول على الوسائل والأمكانيات (مما يساعد الدارس والمدرس والادارة) يحتاج الى بذل لتذليل الصعاب والعقبات فى احضاره ، وهذا لا شك يزيد العمل مكابدة ، لأن المجتمع آنذاك يعيش فى أذيال الغفوة التاريخية الطويلة ، وما صاحبها من فقر وجهل ومرض .

رابعاً : ولقد كانت هذه المكابدات وأحوال المجتمع تدفع القائمين على شئون التعليم الأخذ بالأيسر والأقرب فى الاجراءات والمعاملات الخاصة والعامة لكى يصلوا بالمستوى العلمى والتعليمى الى الغاية القصوى فى الأداء مما يمكن معه تطور حياة المجتمع . هذا من جهة ومن الجهة الأخرى لتسهيل

الأمر على الراغب فى الحصــول على قسط من العلم والمعرفة بما يتوافــر له من جهــد قليل ووســـائل بســيطة ووقت قصــير ، ومن ثم تزداد احصائيــة الدارســين والمتعلمين فى المجتمع ، فمثــلا اذا أراد راغب فى الالتحاق بالمدرسة أو الحضــور فى حلقات تدريس شيخ من علماء المسجد ، فما عليه فى الحالة الأولى الا أن يتقدم لادارة المدرسة فتلحقه بفصولها دون أخــذ ورد ، وفى الحــالة الثانيــة يقوم شيخه باعطائه نسخة من الكتاب الذى يدرسه ثم ينتظم فى حلقات تدريسه .

أما الحاضر فلا بد لالحاق تلميذ بمدرسة أن يقوم بملء الاستمارات واحضــار الشــهادات للســلوك واثبات الهوية ، ثم الانتظار حتى يحصل على مكان بالمدرسة أو التحول الى مدرسة أخرى فى مرحلة من المراحل .

الحاضر وترفه :

وأقول الحق لو أن الدارس القــديم أدرك هــذا الحاضر وترفه بجهده الماضى لبلغ المستوى الذى لم

يبلغه الكثيرون ممن يعيشون هذا الحاضر لما يشتمل عليه هذا الحاضر من الامكانيات الآتية :

أولا : رخاء فى العيش لدرجة أن الدارس يمكنه أن يحصل على وارد فى كل مرحلة من مراحل دراسته ، وربما لمن يعولهم ، وقد أخذ هذا الوارد في بعض المراحل يلعب دوراً كبيراً في السبق للنجاح ، وليس ذلك فى الدراسات العامة ومراحلها فقط بل فى الحصول على الشهادات العليا (الليسانس والبكالوريوس والماجستير ، والدكتوراه) لا سيما لمن غلبت عليهم الميوعة وأبطرهم الترف، لذلك كان الماضى يجهد للتركيز على العلم ، والحاضر يجرى وراء الشهادات ومن ثم فالدارسون القدماء أقوى فيما وصلوا اليه مجالا وكفاءة واستطاع بعضهم أن يقفز بمستواه العلمى الى المشاركة فى مسيرة التعليم الحاضر العام والعالى دون ما (ماجستير أو دكتوراه) .

ثانياً : توافر الوسائل التعليمية ، وامكانيات

الثقافة ، وتعدد أشكالها وتقدمها فنياً مما يجعل الشرح والايضاح والاستيعاب حاصلا عن طريق السمع والبصر من عدة نواحى ، وبما فيه الكفاية للادراك العادى والفهم السريع ، بل ووجدت منه الوسائل للمعوقين فى ممارستهم السمعية أو البصرية أو هما معاً فى مراحل تعليمهم الخاص .

فنشاهد اليوم مثلا بعض العميان والصم يلتحقون بالدراسات العليا وينالون شهاداتها ، **وقد كان** الالتحاق بمراحل التعليم العالى والحصول على شهاداته للسويين من أصعب الأمور لا سيما على متوسطى الدخل ، فهو يحتاج الى نفقات باهظة ومكابدات الغربة الطويلة خارج الوطن، لأن بلادنا كانت خالية من تأسيسات التعليم العالى والحصول على شهاداته .

ثالثاً : أضحى التنسيق للمقررات والمناهج فى تدرجها واختيار مواد لها لكل مرحلة من المراحل التعليمية يخضع للنظريات والقواعد المبنية على أبحاث علم النفس ومقاييس الذكاء ، وطرق

التدريس ، بصورة تجعل للنشاط والترفيه حصصاً في الجـدول الدراسى اليومي ، ومن ذلك ما طرأ على المنهاج التعليمي الجـديد فى مراحله العليا حيث تم تحديد الساعات واختيار المواد المناسبة لكل مرحلة تحت اشراف مدرس كل مادة وارشاداته ، وهـذه الطريقة تحمل الدارس مسئولية سير دراسته أكثر من ذى قبل وتضع لارادته دخلا فى الدراسة وتفسح له مجال العمل لها وتحدد مواعيد الأداء .

رابعاً : العناية بموظفى التعليم من حيث الاعداد والأهليـة والتخصص فهناك اليوم معاهد وكليات ودورات تدريبية وابتعاث لكل مرحلة ادارياً وفنياً تجعـل من الاداري ناجحـاً فى حـدود النظـام والصلاحيات ، كما تجعل المدرس يستطيع الوصول بمقررات منهجه الى النجاح الحقيقى فى راحة ويسر والزمن المحدد للاستيعاب .

خامساً : الكتب والمذكرات بعدت كل البعد عن الحشو والتكديس والتطويل وكثرت فيها التمارين الشفوية والتحريرية والتبسيط فى حل المسـائل ،

وأضيفت اليها الرسوم والصور مما يجعل الوصول بالمعلومات الى فهم الدارس واستيعابه فى الزمن المحدد للمقرر من المادة أمراً لا بد منه ، مع ارتفاع النسبة المئوية للنجاح وفي الوقت نفسه يسهل مهمة المدرسين والدارسين .

سادساً : حصول الدارس على عمل بمجرد تسلمه للشهادة لا سيما أصحاب الشهادات العليا ولا شك أن هذا يدفعه للجد والاجتهاد ، ويدفع ذويه الى ملاحقته فى ذلك والمبادرة بتعليمه فى الأزمنة المحددة ، والصبر على فراقه حين شخوصه الى أية جامعة في خارج بلده .

أما الدارس القديم فقد كان اجتهاده للعلم فقط ، لأن سبل العيش من الضيق والقلة والبساطة بحيث يستوى فيها الجاهل والمتعلم ، وفى هذا الصدد اذا روى الرواة لمتعلمى اليوم أن وزيراً للداخلية في عهد من العهود البعيدة كان أمياً بُهِتُوا وأخذ منهم العجب كل مأخذ .

سير التعليم والمستوى الحضاري للمجتمع

يسير التعليم في تطوره وتقدمه بالقدر الذى يكون المستوى الحضارى للمجتمع آخذاً في النمو ، اذ هو الباعث على قدرة الانسان للادراك والفهم وهما الأساس الذى يدفعه للتأمل والبحث ، وهما الطريق الى العلم والتعلم ، ولما كانت أقطار شبه الجزيرة العربية تغلب على معظمها الحياة الفطرية والقبلية وبداوتها ، فقد تخلفت عن المستوى التعليمي والعلمي في الوقت الذى نجد فيه الأقطار الأخرى للبلاد العربية خارج شبه الجزيرة كان لها السبق فى المستوى الحضاري والمدني ومن ثم ارتفاع المستوى العلمي والتعليمي ٠

وكان للامتزاج والتداخل بين أفرادها والمتعلمين من أبناء المجتمعات الغربية في أزمنة الاستعمار السبب الرئيسى فى ذلك ، وفيما يختص

بالحجاز فقد بلغ المستوى التعليمى فى تأسيساته الأولى مستوى لا بأس به خلافاً لباقى أقطار شبه الجزيرة العربية بسبب ما وجد فيه من علماء البلاد العربية والاسلامية المتقدمة حضارياً و تعليمياً، وقيامهم بنشر معارفهم و ثقافاتهم فى مجتمعات حواضره ومدنه ، ولقد كان نصيب كل من مكة والمدينة وجدة والطائف وينبع أوفر نصيب من تلك المعارف والثقافات ، وبما أن أولئك المهاجرين تغلب عليهم الصبغة الدينية التى بسببها كانت هجرتهم للحجاز ومدنه فراراً من الاستعمار وارسالياته التبشيرية ووسائله الأرهابية ، فقد كان لعلوم الدين واللغة العربية الشمول للتعليم ووجود الكثير من المتعلمين في تلك الحواضر والمدن. وهذا لا يمنع من وجود أفراد من المتعلمين للدين واللغة العربية فى باقى أقطار شبه الجزيرة ممن استطاع السفر والاقامة خارج بلاده مدة من الزمن والأخذ بأسباب التعلم وطلب العلم والمطالعة والاطلاع .

التعليم فى الحجاز ومؤسساته(١) :

بدأ التعليم فى حواضر الحجاز ومدنه بالكتّاب فى مساجد الأحياء وسببه وفود بعض العارفين للقراءة والكتابة واستقرارهم فى تلك الحواضر واتخاذهم المساجد الصغيرة وسيلة للارتزاق والاقامة . ومن هؤلاء المهاجرين علماء فى الدين واللغة العربية اتخذوا مساجد صلاة الجمعة فى تلك الحواضر موطناً لنشر ثقافاتهم ، ومن ثم كان التعليم داخل مساجد الأحياء أو فى المساجد الكبرى كالآتي :

أولا : كتاتيب الأحياء ، وهذه مهمتها تعليم القراءة للسور القرآنية ، وربما يضاف اليها الكتابة فى بعض الأحايين ، واجتماع الصبية عادة فى هذه الكتاتيب لم يكن بقصد التعلم وحده كما هو متعارف في ذلك الحين بل حفظ الصغير من التوهان

---

(١) لم يسبق لى مشاهدة التعليم وسيره في أقطار شبه الجزيرة الا ما طالعته في الكتب أو رواه الرواة لذلك لم أستطع سوى متابعة التعليم ومؤسساته فى الحجاز - وقد ذكر الشيخ حافظ وهبة بعض كلمات عن التعليم فى شبه الجزيرة العربية لا يخرج عما ذكرته فى كتابى (تربية النشء) .

فى الأزقة والشمس وحفظه من الفساد ، ومع ذلك كانت تخرج من هذه الكتاتيب فئات ممن يحسنون القراءة والكتابة وينضمون الى كتاتيب أرقى فى المواد التعليمية .

ثانياً : الكتاتيب بالمساجد الكبرى وحولها ولا سيما المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ومسجد ابن عباس بالطائف فانها تعنى بتعليم الخط والقراءة ، وبعض قواعد الاملاء ومبادىء الحساب على الطريقة الهندية التجارية ، وأذكر ممن التزم بهذا العمل فى المسجد الحرام أستاذنا الكبير الشيخ محمد حلمى الخطاط(١) ومقامه بدكة باب علي ، والشيخ ابراهيم الخلوصى يرحمه الله بدكة باب الزيادة ، ولا تزال المساجد الكبرى تعمر ببعض الكتاتيب .

ثالثاً : كتاتيب فى مستوى المدارس النظامية ذات المدرس الواحد ، وهذه كانت تعنى الى جانب

---

(١) لقد كان الأستاذ محمد حلمى مدرسنا لتحسين الخط بالمدرسة الفخرية ثم انتقل الى مدارس الحكومة فخلفه الشيخ ابراهيم وهبى رحمه الله .

تعلم القراءة والكتابة بتحسين الخط واستظهار المصحف وتجويد قراءته وقواعد هذا التجويد ، ومعرفة قواعد الاملاء ، والأربعة القواعد الحسابية الأصلية ، ومبادىء القواعد النحوية ، ودراسة السيرة النبوية ، ومن أشهر هذه الكتاتيب كتاب (الشيخ عبد الحق الهندى)(١) وكتاب (الشيخ سعد الله الهندى) وكتاب (الشيخ عبد الله حمدوه السنارى)(٢) وكتاب (الشيخ السركتي السنارى) رحمهم الله جميعاً وأثابهم على ما بذلوه فى سبيل العلم ، وأماكن هذه المدارس كانت منتشرة فى الأبنية المشرفة على أروقة المسجد الحرام والمسماة آنذاك بالمدارس لأنها بنيت خصيصاً لطلبة العلم والدارسين فيها(٣) .

---

(١) كتاب الشيخ عبد الحق الهندى مقره باب ابراهيم وتحول فيما بعد الى المدرسة الفخرية . وكان مقر كتاب سعد الله باب الدريبة في المسجد الحرام.

(٢) تحول كتاب الشيخ عبد الله حمدوه والشيخ السيركتى الى مدرسة الفلاح وكان الأول مديراً للمدرسة .

(٣) جرى الاستيلاء على هذه الأماكن وتحويلها الى أملاك في العهد العثمانى الأول .

حلقات التدريس بالمساجد الكبرى :

وأخيراً يمكن لخريجي الكتاتيب في مستواها الأخير شبه النظامي أن يصلوا بمعلوماتهم الدينية والعربية الى الحد الأعلى من الادراك والتعمق اذا تيسر لهم الالتحاق بحلقات الدروس في احد المساجد الكبرى من حواضر الحجاز كالمسجد الحرام والمسجد النبوى ومسجد ابن عباس بالطائف ، فقد كانت هذه الحلقات يمكن للدارس أن يجد فيها المبادىء ثم التدرج الى أن يصل الى مرتبة العلماء في ذلك العهد(١) .

وقد ظهر فى كل من مكة والمدينة المنورة فريق من هؤلاء العلماء فى الفقه والحديث والتفسير وأصولها ، وفى علوم اللغة العربية وقواعدها ، وفى التاريخ الاسلامى والسيرة النبوية ، وأيضاً فى علم الفلك الشرعى وما يلحق به من الرياضة على الطريقة الهندية القديمة .

---

(١) كان الدارس فى المساجد الكبرى اذا بلغ المستوى المطلوب من الدراسة أعطته مشيخة العلماء اجازة التدريس بالمسجد بترشيح من شيخه كشهادة ، وتكون بتوقيع المشيخة وكافة علماء المسجد الكبار .

ومن تخرج من حلقات المسجد الحرام المشايخ : عمر باجنيد ، وسعيد اليمانى وابناه حسن وعلي ، والشيخ أبو بكر بابصيل ، والشيخ جمال مالكى ، والشيخ عباس مالكى ، والشيخ المرزوقى أبو حسين ، والشيخ عبد الله الزواوى ، وبكر صباغ ، والشيخ حسن مشاط ، والشيخ عيسى رواس ، والشيخ علي مالكى ، وغيرهم كثيرون ، ومن المدينة المنورة الشيخ عمر حمدان المحدث والعالم الكبير (يرحمهم الله جميعاً) .

والدى بكر صباغ(١) (يرحمه الله) :

وبهذه المناسبة واستطراداً للحديث كان والدى على ما أذكره يصحبنى معه وأنا صغير الى المسجد الحرام ويتركنى وراء ظهره نائماً حتى ينتهى من درسه ، ولقد وجدت فى كتبه التى خلفها بعد موته المتون والشروح والحواشى فى التفسير والحديث

(١) قد ألف الأستاذ عمر عبد الجبار يرحمه الله عن التعليم بالمسجد الحرام وجاء ذكر والدى فى مؤلفه فليراجعه من يريد الحقيقة .

والفقه وأصولها والتاريخ والسيرة النبوية وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ومنطق وأيضاً في الفلك الشرعى والحساب والجبر على الطريقة الهندية القديمة .

مدرسة الخياط(١) :

ثم عهد الحسين بمكة الى العالم الكبير الشيخ محمد حسين الخياط (رحمه الله) بتكوين مدرسة تحوى المراحل (الأولية ، الابتدائية ، الثانوية) على غرار المدارس الأزهرية بمصر ، وأطلق يده فى وضع المناهج والمقررات واختيار المدرسين ، ولقد كان الاقبال على مدرسة الخياط كبيراً ومنقطع النظير خلافاً لما حلّ على المدارس التركية من الافلاس(٢) .

أما مدرسو مدرسة الخياط فهم على ما أذكر المشايخ : علي مالكي ، جمال مالكي ، والسيد

(١) غلبت التسمية على المدرسة بسبب همة مديرها وذيوع شهرته .
(٢) لم يكن يتوافد على المدارس التركية سوى جالياتهم والملتصقين بهذه الجاليات .

عباس مالكي ، سالم شفي ، عبد الرؤوف الصبان ، مصطفى داغستاني ، أحمد جميل(١) وغيرهم كثيرون يرحمهم الله جميعاً ويثيبهم على ما بذلوه من خدمة العلم ، ولقد تخرج من مدرسة الخياط نخبة كانت النواة التى ملأت وظائف المملكة الهاشمية والعهد السعودى في بدء تكوين المملكة السعودية .

نذكر منهم على سبيل المثال : محمد سرور الصبان ، عمر مهدى أبو شال ، عباس صيرفي وأخاه عمر صيرفي، ومحمد مرزوقي ، محمد بيارى، عمر قدسي ، هاشم سباك ، شيخ بابصيل وأخاه عبد الرحمن بابصيل يرحم الله الأموات منهم ويغفر للأحياء ، وكذلك شارك هؤلاء الخريجين بمدرسة الفلاح فى العهد السعودي : عبد الوهاب آشي ، حامد كعكي ، ابراهيم نورى واخوانه ، واسحق عزوز وغيرهم .

---

(١) أحمد جميل ، والد علي جميل مدير الأمن السابق وقد تخرج من المدرسة الحربية الهاشمية كان ضابطاً فى الشرطة السعودية كما تعلم فى مدرسة الخياط ووالده وفد على الحجاز من مصر وأقام فيه .

المدارس التركية :

أما انشاء المدارس النظامية ذات الفصول المتعددة في الحجاز وغيره من أقطار شبه الجزيرة العربية(١) فقد بدأته الدولة العثمانية على اثر قيام حركة تركيا الفتاة ضد السلطة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد خان ، وذلك بقيادة (مدحت باشا) ورفاقه ، وقد بدأ اهتمام تلك الحركة بنشر التعليم بين القوميات العثمانية ، وأدرجت تعليماتها أثناء وضع الدستور للسلطنة ، وكانت البلاد العربية ومن بينها الحجاز موضوعة فى قائمة الاهتمام بالتعليم ، وعلى هذا جرى فتح مدارس (رشدية) ابتدائية فى الحواضر فى (مكة ، المدينة ، جدة ، الطائف ، ينبع ، الوجه) وخصصت المدينة بمدرسة تجهيزية (ثانوية) .

ولقد تحددت اللغة التركية رسمياً للدراسة فى هذه المدارس ، ومن ثم اعتبر العرب أن هذه

(١) لقد تأسست على العهد العثماني مدارس فى عسير والاحساء ولكن كان تأثيرها التعليمي والعلمي بسيطاً للسبب السابق ذكره .

المدارس فتحت لتتريك العرب ، وبدأت المعارضة لهذا التتريك وانتهز الحسين هذه الفرصة، وتصدى لقيادة حركة المعارضة لا فى الحجاز بل وفى البلاد العربية المتقدمة حضارياً (مصر ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق وفلسطين) ، وافتتح مدرسة تعنى بالدين واللغة العربية في مكة كأول بادرة لتلك المعارضة(١) .

المجتمع الحجازي على العهد العثماني :

لقد تجرع المجتمع الحجازي على العهد العثماني مرارة الاهمال والذل والتخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي قروناً طويلة ، وفي ذلك العهد لم يكن لدى هذا المجتمع من سبل العيش سوى المنح والعطايا السلطانية لأصحاب الوجاهة والرئاسة فى الحاضرة والبادية (كأنما هو تكية كبرى) .

أما عامة الناس فيعيشون على موارد موسم الحج

(١) كان الولاة الأتراك يزورون مدرسة الخياط بمكة بقصد الاستكشاف وراء شعار التشجيع وتحتفل المدرسة بقدومهم وذلك بصف الطلبة عند الباب وهتافهم بالكلمات التركية الآتية (بادشاهم يوك يشا) ومعناها أطال الله عمر عظمة السلطان .

البسيطة ، وهي لقلتها تجعلهم فى فقر مستمر وحياة بائسة أكثر أيام العام يعتادون معها البطالة والكسل ، فليست هناك عناية بالزراعة أو الصناعة أو تنظيمات تجارية ، ولا عناية بالاعلام للسياحة والحج(١) .

ولقد كانت الأمراض والأوبئة تعصف بالسكان فى مواسم الحج بحيث يخرج الحاج من بين أهله مودعهم وداع الموت، ومع أن البلاد الاسلامية آنذاك لم تتسرب اليها أضاليل الالحاد والمبادىء الهدامة كما هو حاصل اليوم في كثير من مجتمعاتها ، الا أنه مع ذلك لم تصل احصائية القادمين للحج الى ما وصلت اليه اليوم .

ولقد شمل الاهمال للحياة الاجتماعية بالحجاز ضماً الى الحالة الصحية(٢) الحركة التعليمية والأمن

---

(١) حين دخلت الدولة العثمانية الحرب انهارت الحياة في الحجاز ففر أصحاب الوجاهة بأموالهم ومات أكثر العامة فقراً وجوعاً ومرضاً .

(٢) ففى مكة محل التجميع الكبير للحج مستشفى اجياد الصغير ويتكون من أكواخ من ورق النار طويلة مضافاً اليه وحدة القبان (بدار أبى سفيان) بالمدعى لعلاج الأمراض العقلية وفي جدة مستشفى صغير في الموقع المعروف اليوم بمستشفى باب شريف وفي بواقى الحواضر وحدات صحية بسيطة والعلاج في جميعها ضعيف وروتيني .

وغـير هما فلا مؤسسات للمراحل التعليمية متكاملة أو كافيـة ، ولا استقرار للأمن فى داخل الحـواضر والبوادى ، ولا عناية بوسائل العمران والمواصلات وايجاد ما يتمتع به عامة الناس فيالمجتمعات الراقية عادة بل وبعض المجتمعات المتخلفة أيضاً من تنظيم لتلك الحياة وترفيه فيها .

أما وظائف الدولـة فهي من خصـائص الجنس التركي وجالياته فالحاكم العام (الوالى) ورؤساء الدوائر وجميـع موظفي هـذه الدوائر وأفـراد الشرطة وجنـود الحاميات وضباطهم كل أولئك من الأتراك ، كأنما الحجاز مستعمرة تركية ، وظاهر هـذا الحصر لوظائف الدولة فى الجنس التركي هو الحـرمان من أي عمـل ادارى يتصل بسياسـتها ، ومقصود به السيطرة التامة وعدم التأهيل للقيام بشؤون بلادهم سياسياً(١) .

---

(١) لقـد حارب الاسلام العنصرية والتعصب للعشـيرة ، وهذه المحاربة من أهم ما يوحى بأن رسـالة محمد صلى الله عليـه وسلم كانت للبشر عامة (انما خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله صلى الله عليه وسلم : لا فضـل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود الا بالتقوى .

العهد الهاشمي في الحجاز

لقد درجت الدولة العثمانية على أن تعهد بشئون البادية لشريف من الأشراف العرب ولكن تحت نظر وملاحظات وأوامر الوالى التركي ، وقد تولى هذا الأمر سلسلة من العوائل الشريفية ، وجرت بينهم وبين بعضهم تارة وبين الولاة الأتراك تارة أخرى، وقائع ومصادمات .

وكانت آخر عائلة تولت امارة الحجاز وشؤون البادية هى عائلة ذوى عون ، والشريف حسين بن علي هو آخر السلسلة فى هذه العائلة ، وقد كان محتجزاً فى الاستانة كعضو فى مجلس المبعوثان(١) ، وذلك كرغبة السلطان عبد الحميد خان ولكن الحسين استطاع أن يفلت من قبضة السلطان فى بحران حركة تركيا الفتاة ووضع دستور للسلطنة

---

(١) مجلس المبعوثان هذا يضم أعضاء من كافة البلاد الاسلامية الداخلة تحت السيطرة العثمانية كمستشارين للسلطنة عن أحوال بلادهم فى عاصمة الدولة بالآستانة (القسطنطينية) .

العثمانية ، وذلك لأن السلطان كان يتوسم فى الحسين الانقضاض على الخلافة العثمانية باعتباره الوريث الشرعي لها من ناحية أنه العربي ، ومن بيت النبوة ، وعشيرته تتولى السيادة فى الحجاز موطن الخلافة الأولى .

ولقد تحققت نبوءة السلطان فما كادت تشتعل نار الحرب العالمية الأولى حتى كان الحسين أول الخارجين والمنادين باستقلال البلاد العربية ، وتقدم لقيادة الأحرار فيها فى كل من مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين ، أما باقى الأقطار العربية الأخرى فقد كانت دنياها منفصلة عن الأحداث العربية بالاستعمار أو الحروب القبلية ، أو التخلف الحضارى .

وكانت بريطانيا مندوبة الحلفاء في الحرب العالمية قد اتصلت بالحسين وعقدت معه معاهدة لطرد الأتراك من البلاد العربية ، واشترط هو عليها أن تمده بالعتاد والأموال أثناء ذلك ، وأن تكون له امبراطورية حدودها من خليج عدن جنوباً حتى جبال

طوروس شمالا ، ومن الخليج العربي شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ، وقبلت بريطانيا الشروط بصفة مؤقتة .

وانتهت الحرب وأخرج الحسين الأتراك من الحجاز ومن سوريا ولبنان وفلسطين وانتظر تحقيق حلمه على يد بريطانيا والحلفاء ، وانتهى به الأمر ملكاً على الحجاز فقط ، وأخذ يطالب بتنفيذ شروط المعاهدة ولكن دون جدوى ، وأخيراً ادعى لنفسه الخلافة وجاء هذا الادعاء ، القاضية على مملكته الهاشمية بالحجاز ونقله الى قبرص وبقائه فيها حتى الموت حيث نقل الى الاردن امارة ابنه عبد الله ودفن هناك يرحمه الله .

المجتمع في العهد الهاشمي :

بدأ الحسين في تغيير الأوضاع في الحجاز واصلاحها بداية طيبة ولكنه لم يلبث أن أهمل وترك ، فالحياة الاقتصادية لم تتطور عما كانت عليه في العهد العثماني ، فلا عناية بالزراعة وكل ما فعله انشاء

مدرسة زراعية جرى قفلها بعد أمد قصير ، والصناعة لم تظهر لها مؤسسات خاصة أو عامة ، والتجارة بقيت في مجاريها القديمة ، وزاد عليها ملاحقة أصحابها بالمطالبات النقدية الفجائية لتمويل التزامات الدولة ، كما احتجز معظم موارد موسم الحج للغرض نفسه(١) .

أما عن وسائل الاصلاح الاجتماعي ، فقد اهتم بالتنفيذ البسيط للوقاية الصحية والعلاج ، وكان الأمن داخل الحواضر له أثر عن أيام الدولة العثمانية . وفي الوقت نفسه ينتشر قطاع الطرق في سبل الانتقال من بلد الى بلد لا سيما فى طريق الحاج الى المدينة المنورة ، كما أن المواصلات وتعبيد طرقها لم يتغير ما عدا وسائل البريد والتليفون والبرق فقد انتشرت نوعاً ما وبقيت وسائل الاعلام لمواسم الحج والسياحة كما هي(٢) .

---

(١) كان الحسين يضع ضرائب على دخول الحاج مما أدى الى أن يقل الاستفادة منهم فى الخدمات الخاصة والتجارة ، وقيام ضجة اسلامية حوله ساعدت على اجلائه عن الحجاز ، والشيء الوحيد الذى أدى فيه واجبه هو امتناعه عن الاعتراف بفلسطين كوطن قومي لاسرائيل .

(٢) سوى جريدة القبلة الرسمية ومجلة الاصلاح فى عهد الدولة الأخير.

واستعان الحسين بخريجي مدرسة الخياط ، ومدارس الفلاح وبقايا موظفى الدولة العثمانية من الجالية التركية فى اشغال الأجهزة الادارية فى دولته الهاشمية ، وهذه هي الحركة الوحيدة التى استفادت منها البلاد سواء فى القسم المدني أو العسكري ، ولقد افتتح مدرسة لتخريج ضباط للجيش ، كما كان يستعين فى تكوين جنود هذا الجيش بأبناء البادية العرب ممن يعيشون داخل المدن أو حولها ، ولكنه كان جيشاً وصفه الشاعر الزركلي السوري (فى قوته وعتاده) عند توديع الحسين للحجاز بالأبيات الآتية :

صبر العظيم على العظيم	جبار زمزم والحطيم
ان القضاء اذا تسلط	ضاع فيه حجى الحكيم
أعددت أجنادا	وما عودتها صدّ القروم
أعددت خمسا سابحات	فى السماء بلا رجوم
ودِّع قصور أبي نمي	لست فيها بالمقيم

التعليم فى العهد الهاشمي :

لقد كان الجهاز الادارى للتعليم ضمن الأجهزة التى كونها الحسين (يرحمه الله) عند قيام دولته

الهاشمية ، وأول رئيس لهذا الجهاز كان العالم الكبير الشيخ عبد الله الزواوى، والى جانبه كمراقب عام الأستاذ كامل القصاب السوري الجنسية (يرحمهما الله) ، وبدأ الجهاز باعادة فتح المدارس التى كانت على العهد التركي فى بناياتها(١) القديمة في كل من مكة والمدينة وجدة والطائف وينبع والوجه ثم جرى نقل مدرسة الخياط من مبناها القديم(٢) بالمسعى الى قلعة جبل هندى (قعيقعان) وجعلها فى مستوى مدرسة ثانوية على غرار المدارس الثانوية الأزهرية ، وسماها المدرسة الراقية ، كما أسس في مقرها القديم مدرسة ابتدائية سميت مدرسة الخياط أيضاً .

---

(١) كانت للمدارس التركية بنايتان في مكة ، الأولى بمقر المعهد السعودي بأجياد والثانية بمقر مدرسة المعلا سابقاً .

(٢) أقيم في بناية مدرسة الخياط القديمة مدرسة ابتدائية في العهد السعودي كانت تعرف بمدرسة المسعى وان ظل بعضهم يطلق عليها اسم مدرسة الخياط ثم أزيلت في توسعة المسجد الحرام .

مدرسة للزراعة :

وفي ابّان نهضته (كما كان يسميها) اهتم بفتح مدرسة للهندسة الزراعية والتقط(١) لها من خريجي مدرسة الخياط حفنة ، ولكن المدرسة لم تلبث أن أغلقت وتحول طلبتها الى وظائف الدولة .

المدرسة الحربية :

كذلك اهتم الحسين فى ابان نهضته بفتح مدرسة عسكرية لتخريج ضباط للجيش الهاشمي وأول رئيس لها كان (محمود القيسوني) المصرى ، وهو قائد البعثة التى أرسلها الانجليز لمساعدة الحسين في اخراج الأتراك من الحجاز ، وبعد انتهاء الحرب ولاه الحسين قيادة الحاميات الحجازية وتكوينها ثم جرى تعيينه وكيلا للحربية ثم وزيراً لها ، وفى أثناء وقعة تربة التى كان القائد العام فيها للجيش المهاجم

---

(١) كان من طلبتها عمر مهدى أبو شال ، محمد بيارى ، عباس صيرفي ، عمر صيرفي ، محمد سرور الصبان ، هاشم سباك ، محمد بتاوى ، عمر قدسى ، شيخ بابصيل .

لنجد ، عبد الله بن الحسين لحق القيسوني ببلاده مصر فخلفه المهندس العراقي صبرى باشا ، وانتهى أمره بهزيمة الطائف وخروج الحسين وعائلته من الحجاز ، ولقد أدرك التعليم(١) الوهن قبل أن يتطور ، ولا سيما فى العهد الهاشمي الأخير ووصفه الزركلي فى صورته الأخيرة بقوله :

ومدارسا ما كان ينقص
حسنهن سوى العلوم

وهذا المثل ينطبق تماماً على المدرسة الابتدائية بالمسعى ، والتى كانت اللبنة الأولى فى نهضة الحسين بالتعليم ، فقد عين لها فى أيامها الأخيرة مديراً سورياً مستهلكاً ، وحوله بعض المدرسين من الشباب خريجي المدرسة الراقية الأوائل أمثال محمد بياري(٢) وعباس صيرفى ، وعبد الرحمن خياط ،

---

(١) انحصر التعليم عموما في فتح مدارس ابتدائية في الحواضر ثم مدرسة الراقية .

(٢) تولى محمد بياري في العهد السعودي الأول رئاسة الديوان للنيابة العامة .

وعبد الكريم حنفى ، يرحمهم الله جميعاً ، وهــذا مما جعــل المدرســة مع مديرها المســتهلك مجالا للتضاحك ، وتبادل النــكات ، ومن هــذه النــكات ما رواه لنا الشيخ عبد الله خوجة(١) أيام اجتماعنا به بمدرسة الصفا التحضيرية حيث قال : كنت أنا ومدير المدرســة السوري نطل على فناء المدرســة ، والبــاعة متجمعون فيه فلمح المدير قصــعة ملأى بحلوى بيضاء مصنوعة من بياض البيض والسكر نسميها نحن لبن الدجاج ، اشــارة الى مادة صنعها الأساسية فسألنى المدير (شيخ عبد الله) (شو هاد الذى فى الأروانة) أجبته : لبن الدجاج ، فاستشاط غضباً ورد علي (شو ؟) شيخ عبد الله أنت بتتمسخر عليّ مثلهم ، وكان يثق بى نوعاً ما ، وأخذ يكرر فى عصبية (الدجاج ايلو لبن) وهكذا ذهبت الواقعة اضحوكة يتبادلها مدرسو المدرسة الشبان ، وهذا يدل على المستوى الذى وصلت اليه مدرسة المسعى .

---

(١) الشيخ عبد الله خوجه هو مدير مدرســة النجاح الليليــة ويبلغ من العمر ما يقرب من تسعين سنة وقد كان من أساتذة الفخرية وأنا تلميذ بها صغير .

وبهذه المناسبة أذكر أنني واخوتى كنا أول الملتحقين بمدرسة الخياط اضافة الى ما قضيناه فى التعليم بكتاب الشيخ سعد الله الهندى يرحمه الله ، ثم عدنا اليها حين انتقلت المدرسة الى القلعة باسم المدرسة الراقية ، وكان وضعى بعد الدراسة بمدرسة الخياط الأولى الانتقال الى الراقية بقسم الحفاظ ومدرسنا الشيخ أحمد زهر الليالى يرحمه الله ، ولكنني لم أستطع المضي في الحفظ لضعف جسمى وشدة الشيخ، وانى لأذكر جملة كان يرسلها الشيخ كلما توانيت فى الاهتزاز والحفظ : (اقرأ يا صباغ قراك الحديد) .

وفى أول العام الدراسي طلبت من والدى نقلى الى فصول الدراسة المتنوعة بعد أن استظهرت ما يقرب من ستة أجزاء من المصحف الشريف ، وقضيت فى الدراسة بالمدرسة الراقية مدة عام ثم انقطعنا أنا وأخوتى بسبب موت عائلنا ، حتى تمكن أخى عبد الكريم (يرحمه الله) وعمر غفر الله له(١) من

(١) لأنهما قطعا شوطاً كبيراً بالمدرسة الراقية وقاربا أخذ شهادتها .

التوظف فقد كان الأول مدرساً بمدرسة الخياط الابتدائية ، والثاني تلميذاً بالمدرسة الحربية ، وكانت عودتى الى المدرسة الابتدائية بطبيعة الحال نظراً لانقطاعي الطويل عن الدراسة .

المدرسة الفخرية :

وبعد مضي عامين بمدرسة المسعى ، انتقلت الى المدرسة الفخرية وهي كما قلت من الكتاتيب الشبيهة بالمدارس النظامية ذات المدرس الواحد سابقاً على العهد العثماني ، وكانت تسمى كتاب عبد الحق(١) ، وحين التحقت بها كانت قد تطورت الى مدرسة تحوى المرحلتين التحضيرية (الأولية) والابتدائية ، وقسماً للحفاظ ، وسميت المدرسة الفخرية اشارة الى أن التعليم بها مجاناً (فخرياً) ولقد كان تطورها على يد الشيخ اسحاق القارى

---

(١) الشيخ عبد الحق (يرحمه الله) أحد الوافدين على مكة من الهند وكان يتقن اللغة العربية وآدابها ، ومقر الكتاب باب ابراهيم في البناية المشرفة على الحرم .

(يرحمه الله)(١) ، فقد أعاد تنسيقها وترتبت الدراسة فيها على ما ذكرت ، وكانت المعونات ترد اليها من الامارات الهندية ، ومملكة حيدر آباد بالهند والحفلات التى تقيمها المدرسة وتدعو اليها أغنياء الحج الهندى ، لكن حينما تحولت الهند الى جمهورية أغلقت المدرسة الفروع وأقسام الصناعة التى أنشئت فيها وعادت الى حالتها الأساسية .

ولقد تخرجت من المدرسة الفخرية بالشهادة الابتدائية ، وهي فى ذروة تطورها على عهد الحسين، ثم تعينت بها مدرساً نصف اليوم ، وطلبت دروساً اضافية للتقوية في التفسير والحديث والفقه وأصوله وتحسين الخط وعلوم اللغة العربية وآدابها في النصف الأخير من النهار(٢) وفي العام الدراسى الثانى ، تعينت مدرساً كاملا فى القسم الابتدائى

---

(١) الشيخ اسحق ربيب عبد الحق وقد كان مدرساً بالمدرسة الراقية ثم انتقل الى المدرسة الفخرية للاصلاح .

(٢) كان اليوم الدراسى من الصباح الباكر الى صلاة الظهر ثم فترة ساعتين للغداء والعودة بعد صلاة العصر وأحياناً الى غروب الشمس وفي رمضان نصف النهار وفي الحج اجازة نهار كامل .

لتدريس الاملاء والجغرافيا والتاريخ والحساب والهندسة والفقه الشافعي ، وهذا الأداء أفادني كثيراً لأنه اضطرني الى الاستزادة من العلم والثقافة عن طريق الحضور في حلقات التدريس بالمسجد الحرام أو عن طريق القراءة والمطالعة في المراجع ، وأمكنني بذلك أن أمارس الحياة التعليمية في المعهد السعودي منتدباً بتحضير البعثات ، ومدرساً بالمعهد السعودي بمكة ، وفي العام التالي لتعييني مدرساً بالمدرسة الفخرية سافرت الى العقبة حيث كان أخي عمر يتولى قيادة مفرزة للمدافع الرشاشة ووكالة مدير شرطة العقبة ، وسفري تم على احدى بواخر الحسين المسماة (رضوى)(١) أثناء اقامتي بالعقبة دخل ابن سعود الطائف ومكة وانتقلنا الى بلدة معان آخر مدن الحجاز على حدود شرق الاردن، وبعد فترة عدنا الى جدة على الباخرة (الرقميتن)

(١) كانت لدى الحسين ثلاث بواخر «رضوى» أكبرها وهي باخرة هندية للحمل قديمة ، و «الرقمتين» أصغر منها وهي باخرة ركاب لا باس بها ، و «الطويل» وهي باخرة صغيرة للحمل ايضاً .

من بواخر الحسين الذى وصفها الزركلي بقوله :

وسـفـائنا مـَرُّ النَّسيم
يحيلهـن الى هشيم

وفى عام ١٣٤٥ هـ التحقت للمرة الثانية مدرساً بالمدرسة الفخرية(١) براتب قدره ثلاثون روبية ، ولقد خطر فى ذهنى فيما بعد أن الارتباط بالأعمال الخاصة غير مأمون العاقبة لأنه مرهون بعلاقة الموظف بممول العمل ورئيسه لا تضبطه أنظمة تمنع من الفصل عند حدوث خلاف بينهما ، ومن ثم بدأت أبحث عن وسيلة لضمان مستقبل مستقر(٢) .

ولقد حصل ما طرأ على ذهنى ، فبعد ثلاث سنوات من توظيفى بالمدرسة الفخرية طلبت من

---

(١) كنت انا والشيخ محمد حابس (يرحمه الله) مطلوبين للتعيين بالمدرسة الفخرية أنا براتب ٢٠ روبية وهو بثلاثين ولكن امتناعه جعلنى أتعين براتبه .

(٢) لقد تهيا لى أن هذا الضمان في تعلم حرفة فتعلمت حرفة الخياطة لأنها الحرفة النظيفة ذات الرواج آنذاك فتعلمتها وزاولتها ردحاً من الزمن ثم تركتها بالعودة الى التعليم في مدارس الحكومة .

رئيسها الشيخ اسحق القارى (يرحمه الله) زيادة مرتبى لعزمى على الزواج فأجاب أن وارد المدرسة لا يسمـــح ، ومن ثم تركت التـــدريس واشـــتغلت بالخياطة عند أحد الخياطين(١) بمبلغ أربع جنيهات ذهباً عدا مكافآت المواسم(٢) ، وبعد مضي مدة من الزمن في العمل أدركت الفرق بين وظيفة التدريس والعمـــل للحرفـــة ، ففى الأولى الى جانب أوقـــات الفراغ الكثيرة التى تعطى الانسان العمل على تنظيم حيـــاته بحيث يستطيع قضاء لوازم بيتـــه والتمتع بالراحة في اجازاتهـــا يمكنه الخـــروج للتـــنزه مع أصـــدقائه والرحـــلات ثم اشـــباع غـــرائز (حب الاجتماع ، والاســـتطلاع ، والســـيطرة ، والأبوة وغير ذلك) والعمل فى الحرف لا سيما للتابع يبدأ من الصـــباح الباكر الى الليل طيلة أيام الأســـبوع والسنة ماعدا سويعات الطعـــام وأيام الأعيـــاد ، اضـــافة الى ذلك أن مســـتوى منزلة العمل لا تبلغ

---

(١) لانني كنت مبتدئاً لا يمكن أن أستقل بالعمل وفتح مشغل هكذا أصول الصنعة .

(٢) مواسم الخياطة في الأعياد وموسم الحج حيث يتكاثر الزبائن .

منزلة الشرف التي يكتسبها المدرس فى نظر الناس وتقديراتهم ، وتجرعت غصص حظى مستسلماً مفوضاً أمرى الى الله حتى أتانى الفرج من عنده .

الالتحاق بمدارس الحكومة السعودية :

ففى لمحة من لمحات هذا الفرج مر الصديق الوفي الشيخ محمد صادق كردى(١) (يرحمه الله ويثيبه على ما فعل) ، ورآنى فى محل الخياط فنادانى وسألنى ما الخبر ؟ فقصصت عليه القصة فأخبرنى أن ادارة المعارف تحتاج الى موظفين لهم علاقة بالتدريس لتملأ بهم المدارس المستجدة ووعدنى أنه فى اليوم الثانى يمر بى ويقدمنى الى مدير المعارف ، وقد تم ذلك ، وكان مدير المعارف بالوكالة الشيخ أمين فودة(٢) يرحمه الله عالماً من علماء المسجد الحرام الكبار استقبلنى باللطف والبشاشة ، ثم أمر باعطائى مذكرة تعيين بمدرسة

(١) لقد كانت معرفتي بالشيخ صادق كردى حين بعثته ادارة المعارف للاشراف على الاختبار السنوي للمدرسة الفخرية ورؤيته نجاح مواد تدريسى وهو اذ ذاك مدرس بالمعهد ثم انتقل الى التفتيش بادارة المعارف .

(٢) كان المدير الشيخ حافظ وهبة يرحمه الله .

الماحى بالشبيكة ، وحين شخصت اليها قادنى مديرها الشيخ أمين الماحى (يرحمه الله)(١) الى ممر به ما يقرب من مائة طفل لا يزيد عمر أكبرهم عن ست سنوات فهالنى الأمر وأخذت مذكرة تعيينى وقفلت راجعاً الى الوكيل ووضعت المذكرة أمامه وأدرت ظهرى للخروج ، فنادانى وسألنى ما الخبر ؟ فسردت عليه ما رأيت فضحك وأمر باعطائى مذكرة الى مدرسة الصفا (دون أي اجراءات) فتناولتها وذهبت الى هناك وذلك عام ١٣٤٨ هـ(٢) .

مدرسة الصفا التحضيرية(٣) :

وذهبت الى مقر المدرسة الثانية ، وكانت بنايتها كبيرة ومشرفة على المسجد الحرام من جهة باب علي

(١) كانت مدرسة الماحي خاصة ثم ضمتها المعارف اليها مع بقاء المدير فيها والمدرسين .

(٢) في هذا العام دخلت بزوجتي الأولى وأنجبت منها بنتين ، وهي كريمة الأستاذ عبد الرحيم صديق كاتب عدل مكة والمفتش بوزارة المعارف سابقاً .

(٣) كانت هناك ثلاث بنايات كبيرة بناها الشريف عون الرفيق عطية لعلى بو وهو رجل متخلف العقل حصلت له مع الشريف واقعة فاعتقد أنه من الصالحين لأن هذا مر يوماً وكان الشريف يجلس في شرفته فصاح فيه قم وما أن قام الشريف حتى سقطت الشرفة ومن ثم جعله معتقده وهذه الرواية يذكرها العجائز وهي ليست معقولة بتاتاً .

فى مجرى المسعى ، وقابلت مديرها (الشيخ مصطفى يغمور يرحمه الله) ، رجلا وقوراً متواضعاً مرحاً لطيف المعشر عاش أكثر من مائة عام وله أولاد أحدهم تولى ادارة الأمن العام للمملكة على عهد الملك فيصل يرحمه الله .

ولقد كانت المدرسة حديثة الانشاء (معدة لتكون نموذجية للدراسة الأولية) وتعيين مديرها هذا كان لأنه من الأوائل الذين مارسوا التعليم والادارة على العهد الهاشمي بمدرسة النورى بحارة الباب ، وهي من الكتاتيب القديمة أصلا ، ولذا كان الاقبال على مدرسة الصفا كبيراً لقربها وسمعة مديرها .

ولقد ضمّت المدرسة من أبناء العوائل الشهيرة بمكة أمثال عبد الله عريف (يرحمه الله) ، حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ ، ابراهيم السويل (يرحمه الله) ، أحمد محمد جمال وأخيه صالح ، محمود جمال حريرى وأخوته ، أبناء عبد الله كاظم مدير عام البرق والبريد (يرحمه الله) رشاد زبيدى ، عبد العزيز الرفاعى ، أولاد

الملائكة ، أولاد الجان ، أولاد البابصيل ، وتضم من المدرسين المشايخ : أحمد فودة ، محمد عبد المولى السنارى ، عبد الرحيم جمال حريرى ، حمزة عمر المدنى ، عبد الله المطلق ، ابراهيم الهويش ، عبد الوهاب جمال حريرى ، أحمد السباعى ، محمد عبد الكريم الشبارى ، علي جعفر ، محمد صالح امام ، وعبد الله خوجة يرحم الله من مات منهم ، ويغفر للأحياء .

مدرسة جدة الابتدائية :

قضيت بمدرسة الصفا التحضيرية (الأولية) ما يقرب من سبع سنوات دون تغيير في وضعى ، وعلى أثر تولى الشيخ ابراهيم الشورى وكالة المعارف عرض علي النقل الى مدرسة جدة الابتدائية فقبلت ، وكان مدير المدرسة الأستاذ عمر محمد نصيف(١) (يرحمهما الله) ، ومكثت هناك ما يقرب

(١) عمر نصيف يرحمه الله ابن الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة وصاحب المكتبة الشهيرة فيها سابقا كان الحسين ينزل بداره اذا قصد جدة ، وكذلك الملك عبد العزيز في أول عهده بالحجاز ، ومرة دخل الحسين المكتبة فقال وعند الشيخ كتب من أبيه فبادر محمد نصيف بقوله ولكن ما قراها يشير الحسين الى الكتب السلفية الموجودة في المكتبة وعلاقاتها بالسعوديين .

من عامين ، وفى عطلة الحج ذهبت الى مكة وقابلت ابراهيم الشـــورى وذاكرته فى أمر نقلى الى مـــكة فضحك وقال ليس قبل خمس سنوات ، وطلبى كان بسبب أن نقل عائلتى الى جدة غير ممكن للحالة التى كانت عليهـــا جـــدة سابقاً من قلة المياه وانتشـــار الملاريا .

ثم بعد عطلة الحج وكانت السنة الدراسية تبدأ في المحرم نقل الشـــورى مديراً للاذاعة(١) ونصب السـيد طاهر الدباغ مديراً عاماً للمعارف خلفـــاً للشيخ حافظ وهبة الذى تم تعيينه سفيراً للمملكة بلندن ، وبحكم الوضع الجـــديد جرى تغيير كبير فى سير الدراسة فألغيت المرحلة (التحضيرية ـ الأولية) ثم جعلت المرحلة الابتدائيـــة ست سنوات بدلا من أربع سنوات ، واكمال نصاب المدرس من الحصص أربع وثلاثين حصة ، وبذا حصلت زيادة فى المدرسين بجدة ، فقام المدير باكمال أنصبة مدرسى جدة وهم

---

(١) الشيخ ابراهيم الشورى من الأوائل الذين استقدمهم حافظ وهبـة من مصر وهو أجودهم علماً وخلقاً ونقل عام ١٣٥٤ هـ وقد استقر بالمملكة وحصل على الجنسية السعودية وتزوج من نجدية من بيت النفيسى وأنجب منها.

الأساتذة : عبد المجيد متبولى ، محمد أبو الحمايل ، معتوق باحجرى ، محمد عثمان باعثمان ، محمد بادكوك ، نعمة الله ، وأخلى المدرسين الوافدين من مكة وهم محمد نور كتبى ، محمد مدين ، عبد الله فريد حلواني ، ومن ثم جرى نقلنا جميعاً الى مكة، وكان نقلى الى المدرسة العزيزية(١) .

المدرسة العزيزية الابتدائية(٢) :

كانت هذه المدرسة فى بداية عهد التغيير الجديد ، المدرسة النموذجية التى يراد منها تغذية مدرسة تحضير البعثات ، ومن ثم كانت عناية المعارف بها قوية لدرجة أنه لا يمضى يوم دون أن يقصد اليها المفتشون وأحياناً مدير المعارف بشخصه ، ولذلك أيضاً حشدت المعارف لها كل الامكانيات ، وجعلت مديرها الشيخ محمود مرزا (يرحمه الله) أقوى شخصية بين مديرى المدارس الابتدائية ، كما حشدت لها من المدرسين المجموعة

(١) لقد كان نقلى الى مكة أعجوبة فبينما ينقطع أملى بمقابلتى مع الشورى بارادة الله يتم نقلى بعد موسم الحج ولم يمض على تلك المقابلة شهران .
(٢) مكان المدرسة فوق بازان الشامية سابقاً .

النشطة ذات الماضي البعيد في الممارسة أمثال الأساتذة : محمود قاري ، عبد الله الساسي ، علي جعفر ، أحمد زهر الليالي ، صالح كاشف ، محمد بخش ، محمد نور الجماوي ، ابراهيم وهبي يرحمهم الله جميعاً ثم الشيخ علي هندي ، الشيخ ابراهيم فطاني ، الأستاذ محمد علي شالوا له .

وقد تخرج من هذه المدرسة : زكي يماني(١) ، طلحة شيبي ، حسن فقيها ، شاكر ضياء ، ابراهيم حجي(٢) أبناء الملائكة (سراج وجميل ومحمد وحسين وعلي) عبد القادر وأمين سراج(٣) ، عبد الله باسلامة(٤) ، أبناء الدباغ (محمد ، وهاشم ، وطالب)(٥) ، وأبناء البابصيل (حسن ، وسعيد ، وصالح)(٦) وغيرهم كثيرون مما لا أذكره.

---

(١) وزير البترول والثروة المعدنية اليوم .
(٢) وكيل وزارة المعارف اليوم .
(٣) دكتور في الأذن والفم والحنجرة .
(٤) عميد كلية الطب بجامعة جدة .
(٥) الأول والثاني طبيبان والثالث صيدلي .
(٦) الأول حسن رئيس محكمة الطائف سابقاً والثالث موظف مصلحة التقاعد بوزارة المالية سابقاً ، وسراج ملائكة طبيب جراح بمستشفى جامعة الرياض .

تطوّر التعليم في العهد السّعودي

السيد طاهر الدباغ :

عفا الملك عبد العزيز (يرحمه الله) عن الفئة من الرؤساء فى حكومة الملك علي بن الحسين ، اذ بعد التسليم وانهاء الحرب تابعت هذه الفئة المسيرة فى المطالبة باعادة استقلال الحجاز كسابق عهده مادامت العائلة الهاشمية التى تضرر منها السعوديون قد رحلت .

ولما صدر العفو عن أفرادها وهم (السيد طاهر الدباغ ، عبد الحميد الخطيب ، عبد الرؤوف الصبان ، محمد صادق) عادوا الى الحجاز فاستقبلهم الملك عبد العزيز (يرحمه الله) بالاكرام والاعزاز،

ووضعهم فى مناصب مناسبة ومشرفة فقد عين السيد طاهر الدباغ مديراً عاماً للمعارف خلفاً للشيخ حافظ وهبة ، وعبد الحميد الخطيب عضواً بمجلس الشورى ، وعبد الرؤوف صبان رئيساً لبلدية مكة ، محمد صادق مديراً للأوقاف) وكان التعيين بالنسبة للدباغ مناسباً جداً نظراً لسبق اشتغاله بالتدريس والادارة بمدرسة الفلاح بمكة والتدريس بالمسجد الحرام ، ولا شك أن استقبال الملك لهم وتعيينهم فى مناصب مشرفة كان أعلى درجات الحلم والحكمة .

تحضير البعثات :

وما أن تولى الدباغ الادارة العامة للمعارف حتى أخذ ينهض بالحياة التعليمية ، ولقد كانت أعلى درجات هذا النهوض والتغيير للأوضاع التعليمية القديمة بالمملكة هو انشاء تحضير البعثات ، وهى عبارة عن مدرسة ثانوية لها منهاج المدارس الثانوية الخارجية فى البلاد العربية وغيرها حتى يتمكن

خريجوها من الالتحاق بالكليات الجامعية هنـاك(١) وقد أحضر لها المدرسون من مصر للعلوم الـكونية والرياضـة واللغـة الانجليزية ، وأمكن ابتعـاث أوائل خريجيها بعد خمس سنوات(٢) وهكذا توالت البعثـات ووفـد أول فوج منهم وجرى تعيينهم فى وظائف الدولة الهامة .

ولقـد تم بعد ذلك انشـاء مدارس ثانوية فى حواضر المملـكة الكبرى وأخـذت تغذى الابتعاث واقتضى ذلك ابتعاث خريجى الـكليات للاسـتزادة والحصـول على شـهادتي (الماجستير والدكتوراه) وهم اليوم منتشرون على نواصى الوظائف الكبرى بالمملـكة لا سـيما الوزارات الفنيـة وكلياتهـا والجامعـات ولا يأتى زمن قليل حتى يتم للجامعات الاكتفاء الذاتي من المدرسين العظام بعد أن تكللت

---

(١) لقد كانت نشاة البعثات في العام التالى لتـولى السـيد طاهر الدباغ ادارة المعارف عام ١٣٥٤ هـ .

(٢) كانت المرحلة الثانوية في البلاد العربية تتم في خمس سنوات خلافاً لما هو حاصل اليوم متوسطة وثانوية بست سنوات .

الكليات بالعمادات الوطنية (١)

ولا شك أن الدولة حين وجدت الكفء الذى يستطيع النهوض بالعمل مدت اليه يد العون والمساعدة وفسحت له المجال فيهما ، وعلى كل كانت الهداية والتوفيق من الله سبحانه وتعالى هى الأساس ثم لا ننسى امدادات البترول للدولة .

المدارس الأهلية والابتعاث :

نشأت المدارس الأهلية فى كل من مكة وجدة والمدينة المنورة متابعة لمدرسة الحسين بن علي العربية ، وكانت نشأتها على أنقاض الكتاتيب الشبه النظامية ، فمدرسة الفلاح بمكة تكونت مثلا من كتابي عبد الله حمدوه السنارى والسركتى السنارى ، والمدرسة الفخرية من كتاب عبد الحق ، والصولتية من بعض كتاتيب الشبيكة وحارة

(١) لقد مكث التعليم أحد عشر عاماً من بدء تكوين ادارة المعارف حتى تولى السيد طاهر الدباغ يزحف في المرحلتين الأولية والابتدائية والكتاتيب مما ضيع على الحياة التعليمية الكثير من فرص النهوض والتطور فليغفر الله للذين واكبوه .

الباب ، ومنشىء الفلاح الشيخ (زينل رضا) بمكة وجـدة ، ومنشيء الصولتيـة الشـيخ رحمـة الله الهندى ، فجزاهم الله عن الحجاز خير الجزاء .

ولقد قصرت هـذه المدارس المسافة بين الأمية المطلقة والنهضة التعليمية بالحجاز ، وكانت تأخذ بالمنهاج الأزهري فى التقرير والأداء والتركيز على علوم الدين واللغـة أما علوم الرياضة والاجتماع فوضع مقرراتها فى المنهاج لا ينتفع بهـا دارسوها لأنها للدعاية والشهرة .

ولما أتم خريجـو تحضـير البعثـات دراسـتهم الثانوية ، وجرى شخوصهم الى الكليات والجامعات الخارجية ، حاول خريجو المدارس الأهلية الاشتراك في الابتعاث فطلب منهم الدخول فى امتحان الشهادة الثانوية الخاصة بالبعثات حتى يتيسر لهم ذلك ، فما اسـتطاعوا لنقص مقـررات مدارسـهم من جهـة لا سيما في اللغة الأجنبية ، وبعضهم فى الرياضـة والعلوم الاجتماعية، ومن ثم التحق بعضهم بتحضير

البعثات(١) كما اضطرت مدارسهم الى تغيير مناهجها بما يواكب منهج تحضير البعثات وبذلك تم ابتعاث الخريجين منها بعد ذلك .

انقطاعي عن التعليم :

كانت مهمة التعليم بالنسبة لى ارثاً عن والدى طالب العلم والمدرس بالمسجد الحرام(٢) (يرحمه الله ويثيبه خير الثواب) ومن ثم اختلط(٣) حبها بلحمي ودمى ، الا أننى اضطررت فى فترة من الزمان الى التخلى عنها ومغادرة رحابها المشرفة ، وذلك حين خلت ادارة مدرسة المعلا الابتدائية (السعودية) وكنت الوحيد المرشح لها قدماً وكفاية، وباعتراف مدير المعارف لى ، لكن تدخلت الأيدى العابثة فى الأمر ، ولم يستطع مدير المعارف أثناء

---

(١) جرى استقدام مدرسين للمدارس الأهلية للعلوم الكونية والرياضية والعلوم الاجتماعية على نفقة ادارة المعارف فيما بعد .

(٢) والدى هو أبو بكر بن عبد الرحمن الصباغ طلب العلم بالمسجد الحرام حتى حصل على اجازة التدريس فيه .

(٣) لقد أورثت عيالى هذه المهنة أيضاً ، فابنى الدكتور جعفر صباغ يعمل وكيلا لفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة ، وأخته الكبرى معيدة بكلية الطب والوسطى مديرة مدرسة ثانوية والصغرى موظفة بمكتبة الجامعة .

المناقشة لوضع قرار التعيين ، المجابهة فتم الأمر لأحد زملائى ، وأمام هذا الغبن لم يكن أمامى سوى الاستقالة ، والالتحاق بوظيفة كاتب بمحاسبة بمصلحة البريد والبرق والتليفون العامة بمكة ، ومكثت بها ما يقرب من عامين ثم تحولت الى المعارف مرة أخرى .

السفر الى تهامة عسير :

لم تنعم نفسى بالراحة في وظيفة محاسبة البريد العامة ، لأن قضائى زمناً ليس باليسير فى مهنة التعليم ملأ وعيى الباطن بالحنين اليها ، مع أن حركتى فى وظيفة البريد كانت بسيطة ومسئولياتها خفيفة ، ومن ثم جاءت ملاحقة الأستاذ صادق كردى (يرحمه الله) لاعادتى للتعليم .

فقد قابلنى وعرض عليّ التعيين مديراً لمدرسة أبى عريش فى تهامة عسير ، ورغم معرفتى أن هذا التعيين ليس فيه ما يبعث على الرضا والغبطة الا أنى قبلته كوسيلة للعودة ، وتنفيذاً لما حرمت منه في الماضى ، والرجاء فى أن الحاقى باحدى الوظائف

الادارية بمكة يتحقق لى بعـد جـولة بسيطة وزمن قريب ، وقـد كان ما توسـمته ، اذ لم أخلص من عسير فى أقل من عام حتى لاحقنى التعيين مديراً فى كل من ينبع والطائف ، ومختلف المدارس بمكة ، وتم سفرى الى تهـامة عام ١٣٥٩ هـ وقبل سفرى ولد ابنى جعفر وفى السفر الى تهامة عسير وجبالها رافقنى نخبـة من أهالى مكة أذكر منهم : (عمـر رفيع ، السيد أسعد جمال مالكى ، ابراهيم ريس ، عيسى دهان البرماوى ، صـالح قماش(١) رحم الله الأموات منهم وغفر للأحياء ، وفى وظيفتى بتهامة عسير مديراً لمدرسة أبى عريش لم ألبث سوى عشرة أشهر وغادرت البلد قبـل بدء العطلة الصيفية الى الطائف عن طريق أبها ، وفى أبها نزلت ضيفاً على مدير شرطتها الأستاذ محمد صالح باخطمه (يرحمه الله) فأكرمنى ، وأحضر لى أمراً باركابى فى سيارة البريد(٢) .

---

(١) تعين عمر رفيع في قرية رجال ألمع بالجبال ، وابراهيم ريس بالقنفدة لقد كان سفرنا في شهر ذي القعدة عام ١٣٥٩هـ الى عسير .
(٢) كانت سيارة البريد الوحيدة في نقل الركاب بأمر من السلطة في البلد.

وقد عتب عليّ مدير المعارف فى مغادرتى قبل العطلة ، فأخبرته بمرضى ورأى آثار ذلك على وجهى فعذرنى ، ومن ثم قرر اعادتى الى مكة لكن لعدم وجود ادارة شاغرة فى مدارسها فقد عرض عليّ النقل مدرساً بالمدرسة العزيزية فوافقت ، وقد تبدلت هيئة تلك المدرسة ، فقد حل محل مديرها الشيخ محمود مرزا (يرحمه الله) السيد علوى شطا (يرحمه الله) كما تعين فيها من المدرسين : السيد زينى كتبي ، محمد ساعاتى ، أسعد مالكى ، طاهر كردى ، عبد الله مرداد ، ثم الشيخ علي يمانى ، الشيخ عبد الله الخليفى مدرسا للدين ، يرحم الله من مات منهم ويغفر للأحياء .

الحياة فى تهامة عسير :

تختلف الحياة فى تهامة عسير من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية ، ففى تهامة تمتد الأرض على طول ساحل البحر الأحمر ابتداء من الرأس

الأسود فى البرك(١) حتى مشارف الحـديدة باليمن ، ومعظم أرضها رملي ، وتتفاوت المسافة بين البحر والجبال تفاوتاً كبيراً ، ففى بعض الأماكن كالبرك مثلا يتصل الجبل بالبحر وفى البعض الآخر ينفصل الجبـل عن البحر الى مسافة ثلاث مراحل (وفى هذه الأماكن يصف السكان البعد دائماً بما بين البحـر والجبل(٢) ، والجو هنـاك شديد الحرارة فى الصيف وقـرب السـاحل بسبب زيادة الرطوبة فمثـلا فى جيزان وهى قاعدة المنطقة وتشرف على البحر ، قد تبلغ درجة الحرارة مبلغاً تتسلخ معه جلود الغرباء، وقد يتوقف الهواء وتشتد الرطوبة حتى لا يستطيع الانسان النوم أو وضع أى لباس على جسده مهمـا كان رقيقاً وشفافاً . هذا ما رواه لى (عمر أمصيلى) معتمد المعارف آنذاك ، خصوصاً وانوسائل التهوية كانت معدومة ، والذى سمعته أن الحيـاة تطورت هناك فلم يعد يعانى السكان من هذه الحالة .

---

(١) تمتد الجبال في البرك الى داخل البحر وتكون ما يسمى بالرأس الأسود.
(٢) فيقول المتحدث من البحر للجبل عندما يصف طول مسافة سفره .

ثم مشـــكلة المياه فهى مالحـــة فى أغلب الآبار ، وتحوى كثيراً من أنواع الجــراثيم بحيث تنتشر فى الشتاء أنواع الحميات والأمراض ، أما العـــادات والتقاليـــد الاجتماعيـــة فهى صورة من العـــادات والتقاليد فى اليمن ، كما أن العادات والتقاليد فى عسير السراة (الجبال) صورة لما هو حاصل فى غامد وزهران وبنى شهر ، اضافة الى اللهجات وطريقـــة التكلم .

الزراعة فى تهامة :

تعتمد الزراعة فى تهـــامة على الرياح الموسمية الآتية من الجنوب قبل المحيط الهندى وخليج عدن ، ففى أول الصيف تهطل الأمطار غزيرة على الجبال المشرفة على البحر الأحمر ، وتتدفق السيول غزيرة فتـــروى مـــزارع الوديان ، وهـــكذا حتى يفيض البـــاقى الى البحر ، وفى شـــهر يونيو من كل عام يجتاح الساحل الرياح الموسمية فتثير الرمال لدرجة يسود معها الجو في بعض السنين(١) ويتم بعد موسم

(١) كلما اسود الجو تباشر السكان بحصاد جيد .

الأمطار الغزيرة زراعة الأراضى وانتاج حصاد خمس دورات زراعية(١) وقبل هطول الأمطار يبدأ الزراع فى تنظيف المزارع من النباتات الشيطانية، وتستمر الغبرة والرياح الموسمية مدة أربعين يوماً، وهبوبها يكون من أول المدة، وأول الأسبوع، وأول النهار خفيفاً ، ثم يشتد الى الليل ثم تهبط ، وفي أثناء هبوب الرياح تسكن حركة القوم عن العمل يلازمون المنازل ، ولا طعام ولا شراب الى الليل ، وفى الليل يقومون بترتيب جميع لوازمهم وطعامهم، وما يزيد من طعام يحفظونه فى عدة أوعية متداخلة ومع ذلك لا يسلم من وجود آثار الأتربة فيه ، وفى كل قرية تطوف دورية قبل هبوب الرياح تتحسس آثار النيران فى كل بيت ، فاذا وجدت صب عليها الماء لاطفائها(٢) ، وفى هذه المواسم الزراعية يبلغ الحصاد مبلغاً تكون زكاته نصف مليون صاع (الصاع

---

(١) للدورات الزراعية لدى السكان أسماء حسب قوة انتاجها هى شب الشب والجينة والخلصة .

(٢) ان شرارة واحدة تثيرها رياح الغبرة تكفى بنيرانها لابادة جميع أكواخ القرية المكونة من الأخشاب والقش ولا سبيل لاطفائها ، وقد تكررت أمثال هذه الواقعة خصوصاً مع انعدام الوسائل الحديثة للاطفاء آنذاك .

يوازى أربع كيلوغرام) ، هـــذا عـــدا ما تجـــرى المغالطات فيه بطبيعة الحال والنفس الانسانية .

مدرسة ينبع البحر :

وفى أثناء قيامى بالعمل مدرساً بالمدرسة العزيزية بمكة ولم يمض علىّ سوى أربعة أشهر عرضت على ادارة المعـــارف ادارة مدرسة ينبع البحر ومدارس ينبع النخل ، ومدرسة ينبع البحر هذه من المدارس التى تأسست على العهد العثماني ، ثم أعيد فتحهـــا فى العهـــد الهاشـــمي ثم العهـــد الســـعودي ، وكان شخوصى اليها عام ١٣٦١هـ ، والصورة التى كانت عليها المدرسة حين وصولى اليها : فصولها خاليـــة تقريبـــاً ومرحلتها الابتدائية غير كاملة بل تنتهى بالسنة الخامسة ، وطلبة هذه السنة لا يزيد عددهم عن العشرة ، وبدأت العمل وأول ما فعلت أعـــدت المسرحين من خريجى طلبة السنة الخامسة وكونت منهم السنة السادسة ، وتحملت ما يقرب من نصف نصاب المدرس مع عملى كمدير .

وقد نجحت العملية فقد استطاع هؤلاء الطلبة النجاح فى الشهادة ، وأمكن الحاق فئة منهم بتحضير البعثات ثم بالجامعات فيما بعد ومن هذه النخبة الأستاذ سعد عبد الواحد ، مدير تعليم الطائف ، ووجدى طحلاوى كان ضابطاً فى الجيش السعودي ، وعبد العزيز طحلاوى كذلك وعودة أبو سليمان عميد فى الجيش ، وحسن شاذلى . أما المدرسون فهم الأساتذة : صالح بابصيل ، محسن زارع ، علي البدري ، أحمد بصيل (يرحمه الله) نور الدين فلمبان ، محمد زاهد الدغستاني(١) .

ينبع الطبيعية :

تقع مدينة ينبع البحر فى طرفاللسان الممتد من البحر في الجانب الشرقى ، وعلى حافة المنطقة المعتدلة الشمالية ،وهذا الوضعيكسبها عدة ميزات أهمها ـ البعد عن العواصف البحرية العاتية

---

(١) الأساتذة صالح بابصيل، نور الدين فلمبان كانا مساعدين لى والأستاذ محمد دغستانى احد أبناء القوقاز وقد اشتهر بمقاومة الشيوعية الروسية هناك وهو من العلماء وقد كان قاضياً ببلدة العلا شمال الحجاز .

ثانياً ـ يظل جوها معتدلا طيلة العـام ، ثالثـاً ـ موقعهـا وسط المسافة بين شمال الحجـاز وجنوبه تقريباً ، رابعاً ـ ميناء هام للمدينـة المنورة مما يجعل المسافـة قصـيرة للحجاج القادمين من مصر وسوريا ولبنـان والمغـرب وأوربا حين شخوصهم للحج والبدء بزيارة المسجد النبوي ، ومن هـذا يتحقق جعل هذا الثغر الحجازى من أجود المصايف المعروفة فى البلاد العربية لو أمكن عمل ما تتمتع به تلك المصـايف من لوازم السـياحة ، ويزيـد من صلاحيتها للسياحة والتصييف وجود مزارع ينبـع النخل بواد قريباً منها لو أنشئت فيها أماكن اللهو البرىء كالمنتزهات والـكازينوهات وغـيرها لزاد ذلك من صلاحيتها .

مدرسة الطائف الابتدائية :

بعـد مضي ما يقرب من ثلاثة أعـوام فى ادارة مدرسـة ينبع ، طلبت نقـلى الى مكة بسبب مرض عائلتى هناك فأخبرنى مدير المعارف بأن فى الميزانية لعـام (٦٣/٦٢ هـ) وظائف ادارية منهـا ادارة

المدرسة السعدية بمكة قد تقرر نقلك لها ، ومضت العطلة الصيفية وكانت مدتها ثلاثة أشهر تبدأ من فصـــل السرطان حتى أول الميزان فى المدن الشديدة الحــرارة كمكة وجــدة وغيرها ، وبانتهاء رمضان تنتهى العطلة ، وقــد تبين فيما بعد أن الميزانيــة لا تظهر خلال أشهر العطلة ولمنع عودتى الى ينبع تقرر انتدابى للتدريس بتحضير البعثات ريثمــا تظهر الميزانية ، وقضيت مدرساً بالبعثات والمعهــد ما يقرب من ثلاثة أشــهر أسندت الي فيهــا مواد (الحساب ، القواعد ، التاريخ ، المطالعــة) وكان يديرها السيد أحمد العربى يعاونه الأستاذ محمود قارى ، وحصل خلاف بينى وبين الادارة على اشغال حصص الفراغ الخاصة بالمدرسين المصريين ، وكان أكثر فراغ الحصص فى موادهم الدراسية واشــغال حصصهم يجعلنا نحن المدرسين السعوديين في موقف حرج فلا نستطيع مذاكرة الطلبة فى مواد حصصهم ولا الاجابة على الأسئلة التى ترد منهم فى تلك المواد ولا سيما طلبة السنوات المتقدمة ، وهذا الوضع

يستوجب الاشـكال بيننا و بينهم ، فذاكرت الادارة وقلت الأحرى أن يشغل المدرسون المصريون فراغ اخوانهم فامتنعت عن الأخذ بقولى ، ومن ثم طلبت اعادتى الى وظيفتى فى مدرسة ينبع البحر ، و بينما الأمور تجرى فى أعنتها (يغير الله من حال الى حال) ، ففى أثناء ذلك توفى مدير مدرسة الطائف الأستاذ محمـد بخش (يرحمه الله) فقـرر مدير المعارف نقلى الى ادارة مدرسة الطائف وذلك فى المحرم سنة ١٣٦٤هـ ، ومدرسة الطائف هذه كانت الابتدائية الوحيدة و بنايتها قديمة من العهد العثماني بوصفها مدرسة (رشدية) ، ورافقنى فى شخوصى الى الطائف معيناً للتدريس الأستاذ حسن ألطف، والأستاذ جميل شقدار (يرحمه الله) . كما كان بالمدرسة المشايخ حسن صـيرفى (يرحمـه الله) وحسن منصـورى ، وسعيد كمال ، وعدنان كتبى وعبد الله صحرا .

وفى هـذه السـنة بدأ فتح أول فصل لمدرسـة ثانوية بالطائف ضمن بنـاية المدرسـة الابتدائية وأُحضر لها مدرس مصرى ، وهذا ضمن التغير في

الوضع التعليمى الذى قام به السيد/ طاهر الدباغ بانشاء مدارس ثانوية الى جانب كل مدرسة ابتدائية على غرار تحضير البعثات لتغذية الدراسات الجامعية، وقد كملت هذه المدرسة وتخرج منها من التحقوا بالجامعات منهم (بكر عبد الله بكر) مدير جامعة المعادن والبترول(١) .

الشيخ محمد بن مانع :

لقد كان الشيخ محمد بن مانع (يرحمه الله) طيب السريرة، لطيف المعشر، نشأته دينية خالصة، قضى معظم حياته قاضياً فى قطر ، فلم تكن له ممارسة في الشئون الادارية العامة، ولذلك ظن الناس أن تعيينه مقصود به العودة بالتعليم للنهج القديم، ولكن أظهر (رحمه الله) تجاوباً للتطور ، فأخذت المسيرة طريقها الى المضي فى الابتعاث ، وازدادت الحركة التعليمية المدرسية فى عهده ، ومن ذلك

---

(١) كانت هذه المدرسة تمتلىء بالمصطافين من مكة وجدة وغيرها ومن طلبتها على ما أذكر الشيخ كامل سندى وأخوه والمهندس عبد القادر كوشك وأخوه يحيى ، وأبناء الكمال ، وأبناء البودواهى ، والفطيس ، وأبناء عبد العزيز العنقرى وغيرهم .

ملاحقة الشيخ للميزانية التى تقدم بها السيد طاهر حتى تم التصديق عليها .

المدرسة السعدية :

وبالتصديق على الميزانية تم تعييني مديراً للمدرسة السعدية ، منتدباً لادارة المدرسةالسعودية فقد تصادف أن طلب سمو الأمير عبد الله الفيصل من المعارف اختيار مدرس خاص لأبنائه فعينت المعارفالسيد سعيد الدباغمدير المدرسة السعودية بالمعلا له وانتدابى خلفاً له مؤقتاً .

المدرسة السعودية بمكة :

لقد أنشئت هذه المدرسة وتم اقامة بنائها فى العهد العثماني لتكون مدرسة أولية ثم جاء العهد الهاشمي فأعاد فتحها ابتدائية وكذلك فى العهد السعودي ، وكان مديرها فى العهد الهاشمي الشيخ حسين عبد الغنى (يرحمه الله) وبقى كذلك الى بداية العهد السعودي ، ثم تم نقله قاضياً للمحكمة المستعجلة لمكة ، وظل فيها الى أن توفى وخلفه على ادارة المدرسة الأستاذ حسن حسنين (يرحمه الله) ،

وهو والد حسنين صاحب أول صيدلية خاصة وجدت بمكة مقرها المسعى ، وكان يقوم بالتطبيب الى جانب صيدليته (يرحمه الله) وبقيت صيدليته الى العهد السعودي بممارسة أحد أبنائه ولما توفى أغلقت ، ولقد نقلت الى هذه المدرسة مدرساً فى عهد حسن حسنين، وقد رافقنى وأنا مدير للمدرسة منتدباً المشايخ (سعيد خفاجى ، أحمد المسيوى ، أحمد جعفر (يرحمهم الله) ثم طاهر كردى الخطاط، وسراج عبد الله ، يحيى العظمة ، حامد مير ، والشريف طاهر المغربي ، ونور الدين فلمبان ، ووجد فيها من الطلبة على ما أذكر : أبناء القدهى، أبناء بن ظافر (سلطان ، ظافر ، سعد ، غازى ، حامد ومحمد ، خالد) وأبناء بن خثلان وأبناء الخراشى والصنيع ، وبن عمر ، والخيبرى وبعض أبناء السميرى .

ادارة المدرسة العزيزية :

ذكرت فيما سبق أنى عملت بالمدرسة العزيزية التى تعلو بنايتها بازان الشامية آنذاك مرتين الأولى

مع الصفوة الممتازة من المدرسين بوصفها مدرسة نموذجية تقوم بتغذية تحضير البعثات لغرض اعداد نخبة من الطلبة خريجى الابتدائية اعداداً جيداً . ولقد تحقق للمعارف آنذاك ما سعت اليه فمن طلبة هذه المدرسة الملتحقين بالبعثات ثم الجامعات من يشغل المناصب الكبيرة اليوم فى الدولة .

أما الفترة الثانية التى عملت فيها بالمدرسة العزيزية المذكورة(١) فبعد عودتى من أبى عريش وبعد وفاة السيد علوى شطا (يرحمه الله) نقلت مديراً للمدرسة العزيزية ، وبعد مضي عامين تم نقلى الى المعهد العلمى السعودي ، وانتداب المفتش الشيخ صالح خزامى لادارة المدرسة منعاً لتأثر سير الدراسة بتلك الخلافات .

---

(١) وكان مديرها السيد علوى شطا (يرحمه الله) ثم لم البث بعد أربعة أشهر أن نقلت الى ادارة مدرسة ينبع البحر ثم الطائف ثم منتدباً لادارة المدرسة السعودية بمكة .

المعهد العلمي السعودي بمكة :

المعهد العلمي السعودي ، تسمية لمدرستين ثانويتين احداهما بمكة والأخرى بالمدينة المنورة ، والغرض من تأسيسهما (وهما أول مدرستين ثانويتين أسستا بالحجاز على العهد السعودي) تخريج مدرسين مؤهلين للتدريس بمدارس المرحلة الابتدائية ، والدراسة فيهما الى جانب التركيز على علوم الدين واللغة العربية هى دراسة علم النفس، وعلم التربية ، وطرق التدريس ، واللغة الانجليزية ، ولقد جرى تحوير هذا المنهاج حين جمع المعهد وتحضير البعثات في بناية القلعة بادارة الأستاذ عبد الله عبد الجبار خريج كلية دار العلوم بمصر للمعهد الى جانب ادارة السيد أحمد العربى خريج كلية دار العلوم بمصر لتحضير البعثات ، ثم فصل المعهد بالغاء تسمية تحضير البعثات بعد أن تم انشاء مدرسة ثانوية سميت بالعزيزية ، وتولى ادارة المعهد الأستاذ محمد حلمى الخطاط ولم يمض على نقلى مدرساً فيه سوى عامين وجاءت ترقيتى فيه مساعداً للمدير ، وبعد

مضي عامين على انشاء وزارة المعارف نقلت مفتشاً اداريًا للوزارة عام ١٣٧٢ هـ .

ولقد ضم المعهد آنذاك نخبة كبيرة من المدرسين المصريين (جامعيين ـ وأزهريين) ومن السعوديين ضم الأساتذة : عبد الله بوقس(١) وعبد الله أحرار خوجه ، محمد بناني ، محمد نور الجماوى ، حسن زمزمى ، عبد الغنى زمزمى ، ثم الشيخ ابراهـيم فطـانى والأسـتاذ سعيد بوقرى يرحم الله الأموات ويغفر للأحياء ، ومن الطلبة الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان ، والدكتور عبد الحميد أبو سليمان ، والدكتور أحمد شكرى ، محمد حنيف كفيه وغيرهم كثيرون(٢) .

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف :

ضاق نطاق العمل التعليمى بالجهـاز الادارى الأول كغيره من الأجهزة الادارية للدولة ، بعد أن اتسعت الحياة بالمملكة العربية السعودية اقتصادياً

(١) الأستاذ عبد الله بوقس وكيل وزارة الأوقاف اليوم .

(٢) لقـد جـرى نقلى الى المعهد منتدباً في أول الأمر الى أن جـرى تعيينى مساعداً للمدير ومرتبة مدرس بالمعهد توازى وظيفة مدير مدرسة ابتدائيـة راتباً ورتبة وهذا جاء لتدريسى بالبعثات والمعهد .

واجتماعياً ، وأضحت الحياة التعليمية تحتاج الى صلاحيات مباشرة لا سيما وان وافدى الجامعات أخذوا يتزايدون فجرى انشاء وزارة للمعارف بدلا من ادارة عامة وذلك عام ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

ولكي تتم مباشرة الصلاحيات بعيداً عن الروتين السابق ، فيتولى الوزير مهام الحركة التعليمية فوراً توجت بداية الوزارة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز زيادة لمظهر الاهتمام بالعلم والتعليم من الدولة ، ولقد خطت الوزارة فى عهده خطوات موفقة كان من آثارها وضع أول نواة للتعليم الجامعى بالرياض وكان ممن تولى ادارة الجامعة الدكتور عبد العزيز الخويطر(١) .

وتعين الشيخ عبد العزيز عبد الله بن حسن آل الشيخ وكيلا للوزارة ، والأستاذ ابراهيم

---

(١) تولى الدكتور عبد العزيز الخويطر بعد نقله من ادارة جامعة الرياض وزارة الصحة ثم وزارة المعارف أخيراً وقد اشتهر الدكتور بالصلابة والحزم وحب النظام والنزاهة مع تواضع ولطف في المعشر .

العنقرى مديراً للمكتب العام والأستاذ عبد العزيز السالم مديراً لمكتب الوزير(١) ، وفي مجال التغير الشامل للجهاز الاداري للتعليم جرى نقلي مفتشاً ادارياً بوزارة المعارف ، في بدء السنة الدراسية التالية لتكوين الوزارة ، حيث تم تكييف الأوضاع حسب ممارسة العام المنصرم .

وانتقلت الوزارة الى الرياض أسوة بباقي الوزارات ، وقد زاملني في وظيفتي الجديدة من الأساتذة : محمد صالح خزامي ، عبد الرحيم عبد الله صديق ، محمد بناني ، عبد الغني زمزمي (يرحمهما الله) عبد الله بوقس ، جميل أبو سليمان .

الشيخ حسن آل الشيخ وزيراً للمعارف :

لقد نشأ الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ في بيت علم ودين وصلاح ، ولذلك كان

(١) كان الأستاذ عبد العزيز السالم بعد تخرجه مدرساً بالمدرسة الرحمانية ثم انتقل الى الوزارة ثم الى وزارة الداخلية بمكتب الوزير وهو اليوم مدير مكتب الأمن القومي بالداخلية .

تعيينه وزيراً للمعارف مناسباً للروح التى تتكامل بها شخصيته . كما ان هذا التعيين يستطيع به أن يجول فى منصبه بادراك وفهم ، وهو اليوم يسعى لأن يجعل التعليم العالى (وهو وزيره) يضاهى أرقى ما تتحلى به الجامعات الخارجية من تقدم وتطور ادارياً وفنياً وتشكيلا ،والسمات التى تتراءى فيه كما يذكرها الذاكرون ؛ أنه لطيف المعشر متواضع موفق للخير ، مجد فى عمله لا يفرق فى تركيز هذا العمل وصلاحه بين قريب أو بعيد من أفراد عشيرته أو من غيرهم ، وكل ما يعنيه في هذا التعيين والتركيز (القدرة العلمية ، والملكة الادارية ، والخلق الاسلامى المستقيم) وهذا ما يطابق معنى الحديث الشريف : (من ولى أمراً من أمور المسلمين رجلا وفيهم من هو أحق(١) منه فقد خان الله ورسوله) .

(١) والأحقية كما قلت القدرة العلمية ، الملكة الادارية ، الخلق الاسلامي المستقيم ، أما تخصيص الأقرباء أو أفراد العشيرة دون نظر الى ذلك فهو الخيانة بعينها .

التفتيش ومتاعبه

توطئة :

ذكرت فيما سبق أنه فى أول العام الدراسى التالى لقيام الوزارة عام ١٣٧٣ هـ وضمن تغيير الأوضاع فى الجهاز الادارى السابق نقلت الى هيئة التفتيش بالوزارة(١) ، ولقد تملكتني الفرحة بهذا النقل بادىء ذى بدء بزعم أنى تقدمت خطوة الى الأمام راتباً ورتبة لكنى ما كدت أباشر العمل فى دورات تفتيشية حتى غاضت تلك الفرحة ، وتمنيت لو أننى أخلدت فى وظيفتى السابقة (معاوناً لمدير المعهد العلمي السعودي) بمكة لما فى هذه الوظيفة من استقرار وبعد عن المتاعب ، ولقد كان ذلك أحد سببين عجلا بمبادرتى لطلب التقاعد قبل الأوان بعشر سنوات من الاستحقاق(٢) .

---

(١) المفتشون الأوائل هم الأساتذة : السيد محمد شطا ، السيد ابراهيم نورى (يرحمه الله) ، السيد اسحق عزوز ، صادق كردى (يرحمه الله) ، السيد محسن باروم ، حمزة عابد ، حسن غسان .

(٢) أما السبب الثانى لتعجيل طلب التقاعد هو عزمى على مصاحبة ابنى (جعفر) الى مصر للاشراف على سلوكه وسير دراسته .

الدورة التفتيشية الأولى بمدرسة دخنة بالرياض :

دلفت الى داخل المدرسة فتبين لى فى مواجهة مديرها أنه متحمل من المعارف بسبب الخلاف على مشتروات للمدرسة فأخذت ألاطفه حتى انقشعت غيوم تحامله وظهر ذلك حين حضورى فى اليوم التالى اذ قام باكرامى والمرور معى على الفصول يقدمنى لها أحسن تقديم ، وفي مقابل ذلك لم أذكر أي شيء عما قصه علي .

الدورة التفتيشية الثانية بمنطقة المدينة المنورة :

فى هذه الدورة كان الشتاء قد حل وهو فى هذه المنطقة من شمال الحجاز شديد البرودة لدرجة تسقط معها الثلوج فى بعض الأماكن ، وبما أنى نحيف الجسم فقد كان تأثرى بالبرودة تأثراً شديداً رغم كل احتياطى فى الملابس ، ففى الحناكية شمال المدينة وصلنا بالليل وكان الجليد يتساقط وما أن خرجت من غمارة السيارة الدافئة حتى أخذت أرتعد كالسعفة ، ودلفت أجرى الى المقهى لمضيفنا قاضى

البلدة جزاه الله خيراً ، ورغم تصاعد الدخان ، الى عيني وتساقط الدموع الا أنى لم أتزحزححتى نمت ولقد زرت فى هذه الدورة مدارس المدينة (المدرسة الثانوية، والمعهد العلمي، والمدارس الابتدائية)(١) ثم يممت المدارس خارجها (مدرسة عروة ، الصفرا ، الحمرا ، ينبع ، مهد الذهب ، الحناكية ، السبيل على حدود الجوف) وكان المفروض الذهاب الى تبوكوغيرها لكنى تركت هروباً من البرد ، ومن لطف الله بى أن صاحبنى فى دورتى هذه مفتش الدين المركزى الشيخ عبد الله الخربوش جزاه الله عنى أفضل الجزاء فكان نعم الرفيق .

الدورة التفتيشية الثالثة بمنطقة حائل :

كانت هذه الدورة فى مطلع شهر رمضان وقد حل الربيع ، والربيع فى منطقة حائل شىء يفوق

(١) مدير الثانوية بالمدينة أحمد بشناق ومدير المعهد الأستاذ محمد عبد الكريم السنارى .

حد الوصف الأرض مزدانة بألوان الزهور الطبيعية النبت وشذاها يعطر النسيم العليل ويجعل كل أمسية نمر فيها بالسيارة أنا ورفيقى الشيخ محمد البنانى (يرحمه الله) نعيش فيها فى أحلام الشعراء الأوائل حين يتغنون بجبلي (أجا وسلمى) .

ركبنا الطائرة الداكوتا حمولة (٢٦) راكباً ، وأخذ الهواء يحاورها ويداورها وقلوبنا تعلو وتهبط من أثناء ذلك ثم تهبط الى الأرض لتسليم البريد في كل من عنيزة وبريدة والمجمعة ، ولم تكن المطارات آنذاك مجهزة كما هي اليوم بل عبارة عن ميدان كبير مترب فى أحد جوانبه قاعة من الطين النيء يجلس فيها مدير المطار وركاب الطائرة للانتظار وفي داخل الطائرة يجلس الركاب والى جانب كل منهم مزودته لأن أكثر الركاب أمتعتهم في مزاود الركاب كعهدهم يوم أن كان الجمل واسطة الرحيل ، ولقد تبينت فى سكان حائل سلوكاً حضارياً أصيلا رغم مظاهر البداوة عندهم كيف لا وحائل من المدن العريقة فى التاريخ .

السير السابق للتعليم في النواحي الخاصة

المقررات والمناهج :

كانت المقررات تنحو نحو التكديس في المادة الواحدة من العلوم فى كل مرحلة من المراحل الدراسية محاولة من واضعيها استيعاب أكبر قدر من الثقافة لكل دارس ، كما أن تعدد المواد فى المنهاج الواحد يتقاطر على جدول الدراسة وحصص الزمن بحيث يستوعب ذلك كل ساعات النهار من غلسه الى شفقه ، ولا مجال لمواد ترفيه أو نشاط جرياً وراء المادة وما تحويه من متون وشروح .

والتحضير لأسئلة الاختبارات لكل مرحلة يجب أن يستوعب كل التقريرات والقواعد للمادة الواحدة ، وهذه الوضعية تجعل النجاح الحقيقى من نصيب الأذكياء وذوى المواظبة والجد والاجتهاد ، وتؤدى الى أن يضطر المختبرون الى التساهل وأخيراً قيام لجنة للرأفة فى نهاية الأمر تبعث من تبقى من

الدارســين للنجــاح بقدر الامكان حتى لا يتضــاءل احصاء الناجحين وكل ذلك جرياً وراء الارتفــاع بمستوى معلومات الطــالب ولا شــك أن الطــالب المدرك للمقررات والمســتوعب لتفاصــيل موادها وقواعدها في متونها وشروحها يتخرج بشهادة عالية من الدراســة الابتدائية التى هى المرحلة القصوى لأكثرية الدارسين .

واليوم نشاهد القصــور الثقــافى فى خــريجى المدارس بمراحلها المختلفة ، بل وبعض الجامعيين ، فقد شــاهدت واستمعت الى اجاباتهم فى المسابقات التى تعقــدها الاذاعــة والتليفزيون فى شتى المواد وكيف هى مضحكة وتدل على ضــعف الاســتيعاب للعــلوم المقــررة فى كل مرحــلة وانى بشــهادتى الابتدائيــة من مدرســة أهليــة ومثلى كثيرون من الدارسين القدماء استطعنا أن نرقى الى التدريس فى مدارس المراحل المختلفة الحاضرة ، ويكفى أن نســتعرض الحفنــة الباقيــة من أولئك الدارسين القدماء لنجد منهم الــكتاب والأدباء والمدرسين فى

الـكليات أذكر منهم على سـبيل المثال الأسـاتذة :
أحمد محمد جمال ، حسن قرشى ، أحمد السباعى ،
عبد القـدوس الأنصارى ، حسن عواد ، حمـزة
شـحاتة (يرحمـه الله) عبـد العـزيز الرفاعى ،
ابراهيم فطانى وغيرهم كثيرون متفرقون فىحواضر
المملـكة ممـا لا أذكرهـم مع أن بعضـهم تخـرج
بالابتدائيـة القديمة وبعضهم من خريجى مدارس
الفلاح التى لا يتعدى منهاجها الثـانوية الأزهرية
أو المدرسة الصولتية ، ودار العلوم بالمدينة وكلها
في مستوى واحد .

الكتب ومقرراتها ومصادرها :

كانت توضع مناهج المراحل العامة فى السابق
وهى لا تتعدى الابتدائية عن طريق الاقتباس من
مقررات البلاد العربية ومناهجها يضـاف اليهـا
خليط من المتـون والشروح القـديمة (كالألفيـة
وشروحها ، نهج البلاغـة ، وأخصر المختصرات فى
الفقه) وغيرها، ويأتى المنهاج الأزهرى، والمدارس
المصرية فى المقدمة ، ومن ثم فالكتب تختار من مصر

وسوريا ولبنان ، فيذهب مندوب المعارف ليجمعها من مخازن المطابع القديمة فى الأزهر وغيره فى باقى البلاد .

ومن المضر فى هذا الاختيار والاقتباس أن تلك الكتب المختارة تتكلم عن عادات وتقاليد البلاد الوافدة منها ، وبذلك يعرف الطالب عنها أكثر مما يعرف عن بلاده وقومه وعاداتها وتقاليدها الاسلامية فى مختلف الحواضر والبوادى ففى تاريخ مصر الفرعونى ومواعيد الزراعة فى السنة الفرعونية (كيهك وهاتور) وغير ذلك كنا نحفظه عن ظهر قلب .

المدرسون وطرق التدريس :

وبالضرورة كانت المدارس مشحونة بمدرسى الضرورة الخالين من التأهيل للتدريس ، ومدرس الضرورة هذا كان يقوم بمكابدة مرهقة وطويلة حتى يستطيع القيام بمهمته ، وبذلك يصبح مؤهلا اذا طالت ممارسته وكانت لديه الموهبة ولقد ظهر فى مجال التدريس منهم بالمدارس كثيرون استطاعوا

أن يبرعوا فى مهمتهم يعرفهم من حضر فى دروسهم وأخذ عنهم من متعلمى اليوم .

وحين تولى السيد طاهر الدباغ (يرحمه الله) كان من الأمور التى أولاها اهتمامه اقامة ندوات ليلية لمدرسى الضرورة(١) يتلقون فيها مبادىء عن طرق التدريس ووزعت عليهم نسخ من كتاب (طرق التدريس الحديثة) ، وفي الوقت نفسه جعل لمن يحسنون الفهم والاقتباس من مدرسى الضرورة أثناء قيامهم بعملهم في مدارسهم مجالا للتقدم والترقية على غيره لخلق جو من المنافسة فى هذا السبيل ، ثم افتتح معاهد ليلية لتخريج المدرس المؤهل بمكافأة تشجيعية شهرية ، وقد كان مدرس الضرورة يلقى مقررات منهجه ومواده بأسلوب حلقات التدريس بالمساجد ، وغير ملزم باعطاء التمارين الشفوية والتحريرية بعد الانتهاء من التقرير لمادته .

(١) كان السيد محمد شطا يقوم بالتدريس في هذه الندوات ووظيفته مساعد مدير المعارف وقد كان مدرسنا بالمدرسة الفخرية وهو من خريجى الفلاح والتحق بالأزهر وأخذ منه العالمية .

وسائل التربية بالمدارس :

كانت الوسيلة الوحيدة للتربية على كل تقصير أو شقاوة هي العصا يراها التلميذ ماثلة أمامه طيلة اليوم الدراسى فى يد المدير والمراقب والمدرس وربما الفراش أيضاً ، ومع أن هذا الارهاب لا يأتى بالنتيجة السليمة بل العكس فهو مثلا يفتق ذهن الطالب الى حيل وأساليب يستطيع بها أن يتخلص من المسئولية وما يرتكبه من شقاوات ، ومن ثم يجتمع في وعيه كل رواسب المماطلة والكذب والخبث. ان هيئة المدرسة ومديرها في المقدمة لاترى سوى العصا وسيلة ، أما دراسة أحوال الطالب ومعالجتها بالحسنى وبطرق التربية الحديثة ونظريات علم النفس فغير وارد آنذاك ، ومع أن نظام المعارف مؤخراً يمنع الضرب الا فى الارتكابات الغليظة وبواسطة مدير المدرسة الا أن الاعتياد على استعمال العصا لم ينقطع ، والحجة التى يتذرع بها مدرسو العصا لتأديب الطفل هى أنه أخذ على هذه الوسيلة فى تربيته المنزلية وليس من الممكن الالتزام بنظام

المعارف الجديد في التربية ، والذى يظهر لى أن لا يزال للعصا شأن كبير فى التربية بالمنزل والمدرسة ، وفي أزمان سبقت جرت من استعمال العصا وقائع محزنة أدت الى الموت ومع ذلك نجا مرتكبوها من القصاص بحجة أن القصد كان للتربية(١) وسكت ولي الطالب ، ولقد كان ولي أمر الطالب اذا عرضت عليه المدرسة أمور تقصير ابنه أو شقاوته يجيب : هذا الولد ولدكم ربوه أنا لى اللحم وأنتم لكم العظم ، بمعنى أنه يمكنكم تكسير عظامه ليصاب بعاهة من العاهات ومن ثم لعبت العصا والفلكة دوراً كبيراً فى التربية آنذاك.

الطالب وسير دراسته :

كان الطالب ووليه لا يعنيهما من السير الدراسى ما يعنى طالب اليوم ، وهذا من دواعى انحصار التعليم فى مرحلتين أولية وابتدائية

---

(١) يقال والله أعلم أن القتل في سبيل التربية للطفل لا يؤخذ فاعله شرعا وعلى هذا الأساس نجا أولئك المدرسون من القصاص ، ولا أدرى هل هذا القول له أساس من الصحة أم أنه م ناشاعات القدماء لا سيما المدرسون .

والتركيز فيهما على علوم الدين واللغة العربية ومن الدواعى أيضاً أن الأعمال فى المجتمع خاصتها وعامتها لا تتطلب مؤهلات عالية ، والأكثرية من أولياء الطلبة يكتفون من الدراسة بالقراءةوتحسين الخط ومبادىء الحساب والاملاء ثم يسحبون أبناءهم من المدرسة لمعاونتهم في أعمالهم المختلفة ، ولا يزال هناك فريق منهم يمانع فى التحاق ابنه أو ابنته بالتعليم الجامعى ومن هذا المنطلق لا يهتم الطفل بالحضور والغياب ولا بأداء الواجبات المدرسية ، وهذا يجعلمهمة المدرسصعبة يمكنوصفها بالنحت فى الصخر ، وكان المثل الشائع (صنعة أبوك لا يغلبوك) هو الأساس فى تكون مستقبل الطفل ، والحمد لله أن صنعة والدىكانت التدريس وورثتها عنه .

نهاية المطاف فى التعليم :

وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً قضيتها فى خدمة العلم ، ومكابدات التعليم فى الزمن القديم ،

وقضيت فيهـا زهرة شـبابى طلبت الاحالة عـلى التقاعد قبل أن أبلغ الاحالة الجبرية بعشر سنوات للأسـباب التى مر ذكرها ، وكان نصيبى بعـد كل تلك السنوات الطوال مبلغ (٤٥٠ ريالا)(١) معاشاً للتقاعد ، ولقد كان من رحمة الله بى وبعائلتى أن بعثت المعـارف ابنى للدراسـة بمصر وذهبت بهم جميعاً الى هناك حيث كانت الحياة رخية فاستطعنا أن نعيش بالراتب البسيط وقـد رجعت بأبنـائى جميعـاً متعلمين يحملون الشـهادات الجامعيـة(٢) ويخدمون بلادهم ودولتهم . ●●●

---

(١) ان سرد الحقائق مما له صلة بالواقع هو للتعريف بالحياة القديمـة ومداولاتهـا وهـذا من صميم تاريخ المجتمـع ، وأثابر على تسـجيله متمثلا بقول الشاعر :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللـذة الجسـور

(٢) ابنى جعفر دكتوراه في الهندسة الميكانيكية قسم الحراريات وهو اليوم وكيل جامعـة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وأخته الكبرى بكالوريوس فى الطب مع دبلوم التخصص الباطنى من جامعة القاهرة بمصر ومعيدة بكلية طب جامعـة الملك عبد العزيز بجدة ومبتعثـة للزمالة بلندن ، وأختـه الوسطى بكالوريوس المعهد العالى للتربية الفنية بمصر ومديرة مدرسة ثانوية بالمملكة وأخته الصغرى ليسانس علم النفس الاجتماعى بكلية آداب عين شمس بمصر وموظفة بمكتبة الكلية للبنات بمكة .

الفهرست

صفحة

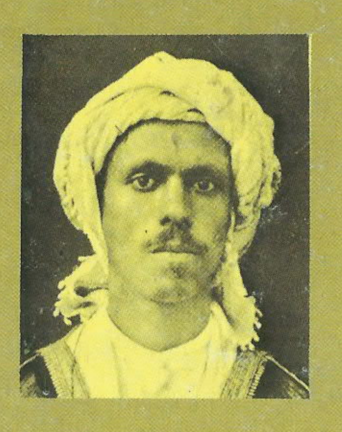
بيــان كتب
المجــلد الثــالث

[تصويب آية قرآنية]

جاء فى صفحة ٢٥ فى الهامش ، السطر الثالث خطأ مطبعي في الآية القرآنية الـكريمة والصواب هو :

(يا أيها النّاس ُ انّا خَلقناكُم مِن ذكر وأُنثَى وجَعَلناكُم ُشعُوباً وقبائِل لتعارفوا انّ أكرمكم عند اللهِ أتقَاكُم) .

الكاتب بقلمه ..



بسم الله الرحمن الرحيم

ولدت بمكة في رمضان عام ١٣٢٦هـ

بدأت تعليمي بالكتّاب ومدرسة

الخياط ومنها للفلاح قسم

الحفاظ. انقطعت عن

الدراسة وعدت إليها بالمدرسة الفخرية حتى حصلت

على الشهادة الابتدائية وتعينت مدرساً بها. تحولت

إلى مدارس الحكومة السعودية وتقلبت في وظائفها حتى تعينت

مفتشاً بالوزارة. ألفت بعض الكتب مدرسية وغيرها منفرداً

ومشاركة، ثم بعد ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة التعليم طلبت الإحالة

للتقاعد وتوجهت إلى معهد لتعليم عيالي. أسأل الله لحياتي

خاتمة السعادة إنه سميع مجيب ٢٠/١٠/١٣٩٩هـ

عبد الرحمن بكر صباغ

دار الأصفهاني للطباعة بجدة
رقم الترخيص ١٨ ص - ١٣٩٣/٤/٥هـ